إصدار مؤسسة السادة للفكر و الثقافة

سلسلة العقائد الإسلامية

أهل الفترة

عند أهل السنة والرد على المخالفين

إعداد

أ.د/ مصطفى مراد صبحي

الأستاذ بقسم الأديان والمذاهب

كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر بالقاهرة

www.sadah.net

دار مشكاة

للطبع والنشر والتوزيع

اســـم الكتـــاب:	أهـل الفـترة عند أهل السنة والرد على المخالفين
المؤلـــــــــف :	د/ مصطفى مراد صبحي.
مراجعـة وتـدقيق:	محمود أبو نور الدين
مصـمم الغـلاف:	شركة دوام للخدمات التقنية
رقـــم الايـــداع :	٢٠٢٥/٤٨٢٩
التـرقيم الـــدولي:	٩٧٨_٩٧٧_٨٨٢٥_٩٣_٥

==========

٣٤ شارع يحيي إبراهيم – محمد مظهر – الزمالك - القاهرة

ت/ ٠١١١٤٣٩٨٩٩٤-٠١٠١٤٤٤٦٤٨-٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧

جميع الحقوق متاحة لكل مسلم

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة

الحمد لله رب العالمين،،، ونصلِّي ونسلِّم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين،، وبعـــــد

فلما كان للعلوم الشرعيَّة المنضبطة الأهمِّيَّة الكبرى في حياة كل مسلم، وصار العلم الشرعي والحاجة إليه من أساسيات الحياة، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الفتن، والشُّبهات والمشكِّكين في ثوابت الدين من هنا وهناك، و حيث انتشر الجهل والبُعد عن طلب العلم والتَّفقُّه في دين الله تعالى، فكانت الحاجة للعلوم الشرعية ونشرها كالشمس للدنيا والصِّحة للأبدان.

ومن أجل هذا حملت على عاتقي تأسيس هذه المؤسسة العلميَّة وبمساعدة طيبة من بعض الإخوة المخلصين، والهدف منها نشر العلم الشرعي الصحيح المنضبط المعتدل على منهج أهل السُّنة والجماعة، حتى نقدم لأبناء الأمة الإسلامية مساهمة طيِّبة، ولو كانت بسيطة، عدةً لهم وتحصينًا أمام الشُّبهات والفتن بجميع أشكالها. ولقد تعمَّدنا السهولة واليسر، حتى تكون متاحة لعموم المسلمين ولمحبي دراسة العلوم الشرعيَّة، والتَّفقُّه في الدين.

و انطلاقا من حديث رسول ﷺ عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال رسول : "ﷺ مَن يُرِدِ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ". (صحيح البخاري)

وحديث ابن عمر -رضي عنهما- قال: "جاء رجل إلى رسول صلى عليه وسلم فقال : (يا رسول ! أيُّ الناس أحبُّ إلى ؟ فقال: أحبُّ الناس إلى أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى عز وجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرًا...[1].

ولقد ذكر النبي صلى عليه وسلم أمورا سبعة يجري ثوابها على الإنسان في قبره وبعد موته ، وذلك فيما رواه البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى عليه وسلم قال : « سبع يجري

(1) (رواه الطبراني في الأوسط والصغير)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته :من علم علما، أو أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته »[1] وفي رواية ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال قال رسول صلى عليه وسلم « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه أو مسجدا بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته »[2]

وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي عنه قال : قال رسول صلى عليه وسلم « أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : من مات مرابطا في سبيل ، ومن علم علما أجرى له عمله ما عمل به ، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له »[3] وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن رسول صلى عليه وسلم قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »

وقد نظمها السيوطي في أبيات فقال :

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من فعال غير عشر

علوم بثها ، ودعاء نجل ... وغرس النخل ، والصدقات تجري

وراثة مصحف ، ورباط ثغر ... وحفر البئر ، أو اجراء نهر

وبيت للغريب بناه يأوي ... إليه ، أو بناء محل ذكر

ونسأله تعالى بجميل فضله وكرمه أن يجعله عملًا صالحًا ولوجهه خالصًا، وأن يكون زخرًا لنا ولكل مسلم، ونورًا على الصراط، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولعموم المسلمين...م آمين يارب العالمين،،،

المشرف العام :

ناصر بن صالح بن حسين السادة

---

(1) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم :٣٥٩٦].
(2) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٨]
(3) [وانظر صحيح الجامع حديث رقم ٨٩٠]

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المقدمة

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بعثه على فترة من الرسل ودروس من العلم وإدبار من الدنيا وإقبال من الآخرة، بشيراً بالنعيم المقيَّم ونذيراً بين يدي عذاب أليم، فبلغ الرسالة، ونصح الأمة وجاهد في فأدى عنه وعده ووعيده حتى أتاه اليقين، فعليه وعلى آله وصحبه من صلاة ورحمة وسلام .

أما بعد ؛؛

فإذا أشرأبت أعناق أولى الألباب إلى غير المسلمين من حولهم ألفوا بعضهم في غفلة عن الحق، ولو ذللت لهم سبله، وهيأت لهم أسبابه، وصرفت عنهم موانعه لأقبلوا على دين راشدين مؤمنين، فهل يلحق هؤلاء وأشياعهم بأهل الفترة ومن لم تبلغهم الدعوة؟، ثمَّ ما مفهوم أهل الفترة، وما مرجع الحكم عليهم، وما حكمهم في دار الدنيا ودار البرزخ والدار الآخرة؟ الحق أنني لم أظفر ببحث أو مصنف مستقل عن أهل الفترة، وإنما وجدت شذرات في تصانيف أصول الدين والمقالات وغيرها تلمح إليه .

فأردت أن أخص هذا الخطب الجلل والمرتقى الصعب ببحث مفرد عسى أن أنال به ثواب الدنيا والآخرة .

وقد أقمته على المسائل التالية:

١ . مفهوم أهل الفترة . ٢ . وجود أهل الفترة . ٣ . أقسام أهل الفترة.

٤ . مرجع الحكم على أهل الفترة . ٥ . حكم أهل الفترة في الدنيا والبرزخ والآخرة .

السدة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

ولم أدخل في بحثي مسألة نجاة أبوي النبي | خشية التطويل، ولأجل أنه صنف فيها عدة تصانيف منها: رسالة نجاة أبوي النبي | ، وتمام المنة في دخول عبد وآمنة الجنة، وكلاهما للإمام للسيوطي .

وأهدي بحثي هذا لشيوخي وأبي وأمي وزوجي وأولادي، وإنني راج ممن رأى فيه زللاً أن يصلحه .

مصطفى مراد صبحي

الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب

كلية الدعوة الإسلامية

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

أولاً: مفهوم أهل الفترة

يقصد بكلمة **الفترة في اللغة** الانكسار والضعف والانقطاع والكسل والخمول والوني[*] والسكون بعد الحدة واللين بعد الشدة والضعف بعد القوة والانفصال بعد الاتصال، والتقليل من العبادات والمجاهدات، يقال: فتر جسمه يفتر فتوراً: لانت مفاصله وضعف،وأفتره الداء:أضعفه،وكذلك أفتره السكر،ويقال:ماء فاتر:أي ما بين الحار والبارد، وماء فاتور:فاتر،وفتر الحر:سكن،وفتر الماء الحار: لانت شدة حرارته، قال تعالى: ﴿ ... ﴾ سورة المائدة، الآية (١٩) أي سكون حال عن مجيء رسول | قال تعالى: ﴿ ... ﴾ سورة الأنبياء، الآية (٢٠) أي لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة، والطرف الفاتر: الذي فيه ضعف مستحسن، والفِتْر: ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة، يقال: فترته بفِترتي وشبَرته بشبري [١] .

أهل الفترة اصطلاحاً:

وأهل الفترة في الاصطلاح (هم من كانوا بين أزمنة الرسل أو في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم) [٢] ، ولا يُخص بذلك زمان دون زمان ولا مكان دون مكان .

وهذا التعريف يوسع دائرة أهل الفترة لتشمل من لم تبلغه الدعوة .

(*) الوني: الضعف والفتور، ومنه قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ (طه: ٤٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة: فترة، ج ٤ ص ٣٣٤٠، ٣٣٤١، ط الشعب، مصر د ت .

(١) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، الشهير بالراغب الأصفهاني، ت ٥٠٢هـ، ص ٣٧١، تحقيق/: محمد سيد كيلاني، ن: دار المعرفة، بيروت د ت. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ج ٤ ص ١٦٦، ن: المكتبة العلمية، بيروت د ت .

(٢) ينظر: المختار من شرح البيجوري على الجوهر، للعلامة: إبراهيم البيجوري، ص ٣٨، ط إدارة المعاهد الأزهرية، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

ويقول السيوطي:(أهل الفترة هم الأمم الكائنة ين أزمنة الرسل الذين لم يُرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي | . والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين) [1] ،وخرج بالذي بلغته الدعوة من لم تبلغه كمن (نشأ في شاهق جبل فليس بمكلف على الأصح خلافاً لمن قال: بأنه مكلف لوجود العقل الكافي في وجوب المعرفة عندهم وإن لم تبلغه وعلى اشتراط بلوغ الدعوة، فهل يكفي بلوغ دعوة أي نبي ولو سيدنا آدم، لأن التوحيد ليس أمراً خاصاً بهذه الأمة أو لابد من بلوغ دعوة الرسول الذي أرسل إليهن والتحقيق كما نقله العلامة الملوي عن الأبي في شرح مسلم خلافاً للنووي أنه لابد من بلوغ دعوة الرسول الذي أرسل إليه) [2] .

وإنما اشتهر كون أهل الفترة فيما بين عيسى عليه السلام والنبي | للاهتمام بأهلها دون غيرهم، ولهطوع الفكر إليها ،ولطول الزمان بين عيسى ومحمد .عليهما السلام ،. فإنه يبلغ ستمائة سنة؛ ثم إنه كان زمان جاهلية وقد أطبق الجهل شرقاً وغرباً وفقد من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيراً من أحبار أهل الكتاب مفرقين في أقطار الأرض كالشام وغيرها.

وإذا كان الخطب كذلك فإنَّ عصرنا الحاضر يتضمن صنوفاً كثيرة من البشر لم تبلغهم دعوة رسول | ناهيك عن دعوة أي رسول آخر، وإنما بلغتهم رسالات محرفة، ونحل وضعية وأفكار إلحادية .

ثانياً: أهل الفترة حكماً

مع شمول الإسلام ووسطيته وصلاحيته لكل زمان ومكان وجدت أسباب حالت دون اعتناق جمهور الناس له أهمها:

١ ـ البيئة: فلا ريب أن هناك مجموعة من الثوابت تحدد السلوك الاجتماعي المتعلق بالمعتقدات الروحية والمعنوية والفكرية والمادية في المجتمعات كلها .

---

(١) الحاوي للفتاوى، للإمام/ جلال الدين السيوطي، رسالة القول بنجاة أبوي النبي | ، ضمن الحاوي، ج ٢ ص ٢٠٩، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٢) ينظر: المختار من شرح البيجوري على الجوهرة، للعلامة: إبراهيم البيجوري، ص ٣٧، ٣٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وأهم هذه الثوابت:العادات والتقاليد والأعراف،والطرق الشعبية (الأنماط الشائعة)،والآداب الاجتماعية،ولا ينفك المرء عن التزام هذه الثوابت في فكره ومظاهره وسلوكه بل ومعتقده،ولا يمكنه الانسلاخ عنها إلا بجهد جهيد وفكر عميق وتربية متميزة، لما لها من سلطة روحية في الأفكار ومظاهر السلوك، وسلطة مادية تنذر بالعقاب ومخالفة الجماعة. وتقوى سلطة هذه الثوابت في المجتمعات البدائية والبيئات المحلية التي تعتمد على العلاقات المباشرة لا سيما مع صغر حجمها وتأخرها وعزلتها وقوة النظام العائلي فيها.

وكلما ارتقى المجتمع وتحضر وزادت علاقاته بغيره، واتسع نطاق التبادل بين الأفراد كلما ضعف سلطانها .

هذا الوسط الذي يزاول فيه المرء حياته منذ نفخ الروح فيه إلى قبضها منه، والذي يغلب عليه فيه إلف العادات وتقاليد الآباء، ومواريث السالفين . .فالناس أبناء ما تعودوا عبيد ما ألفوا ،. عامل رئيس في توارث المعتقدات، وقد أشار القرآن المجيد إلى أثر هذا العامل فحكى عن المشركين قولهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ سورة الزخرف، الآيتان (٢٢، ٢٣) وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ سورة الصافات،الآيتان (٦٩، ٧٠) وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۚ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ سورة الأعراف، الآية (٢٨) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

فلكل من البيئة والوراثة أثر عميق في اختيار الدين وتوجيه الأخلاق وتكوين السلوك،فالوراثة تمده بالاستعدادات والميول والغرائز،والبيئة تهيئ له عمل الخير أو الشر.

(قد أسائل نفسي: لو كنت أمريكياً أو أوربياً، أكنت أعتنق الإسلام وأعرف ربي العظيم، وأؤمن بالقرآن الحكيم، وأوقِر الحق الذي جاء به محمد النبي الأمي؟ ما أظن ذلك! فمن أين أقع على هذه المعرفة؟ وكيف تتاح لي سبلها؟

إنَّ الصورة النظرية للإسلام بلغت سكان هاتين القارتين مشوَّهة مُفزِعة، والصورة العملية ليست أقل سوءاً من زميلتها!!

إنَّ شعوب أوروبا وأمريكا تعرف عن البترول العربي أكثر مما تعرف عن القرآن العربي .

ولأسرع ببيان ما أقصد من هذا الكلام: فأنا لم أرث الدين عن والدي .. بل لقد مرت عليَّ أيام فرَّغت نفسي من كل اعتقاد، وتركت لعقلي أن يوازن ويختار، والذي أعانني على إيثار الإسلام: أنَّ لغتي هي لغة القرآن، وأن الدراسة الناقدة له ولغيره كانت ميسرة لي: أي أن ظروف البيئة التي احتوتني هي التي جعلتني مسلماً على حين حُرِم غيري هذه المنحة الطيبة لأن ظروف بيئته باعدت بينه وبين الاهتداء، بل لعلها زيَّنت له الأخذ بضده، وملأت نفسه ثقة ورضا بما عنده، وليس ما عنده إلا الضلال الخادع .

وآثار البيئة في الخلق والسلوك ونوع الدين لا يمكن نكرانها: ألا ترى الحديث الكريم يرد شرود الطفل عن الفطرة السليمة إلى فطرته ﴿ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ﴾[1] ،ثمَّ ألا ترى إلى التذييل الذي أعقب النهي الإلهي

([1]) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب/ ما قيل في أولاد المشركين، ج ٢ ص ٣٥٥ رقم ١٣٨٥، وكتاب: القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، ج ٤ ص ٢٤٤ رقم ٦٥٩٩ . ومسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة ٤/ ٢٠٤٧، وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب: الجنائز رقم (٥٠)، ص ١٩٢، وأخرجه أبو داود، كتاب: السنة، باب : في ذراري المشركين ٢/ ٥٨٠ رقم ٤٧١٤، وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: القدر، باب: ما جاء كل مولد يولد على الفطرة ٤/ ٣٨٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

إنــه يقــول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ سورة الأنعام، الآية (١٠٨) [1].

ونكول كثير من علماء الغرب عن اعتناق الإسلام راجع إلى آثار البيئة؛ إذ لا تلازم بين التقدم العلمي والاقتصادي والاجتماعي والتقدم العقدي .

ب .هجر كثير من المسلمين لواجبهم في تبليغ الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، واعتقاد فريق من المسلمين قصر وحصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الدعاة والعلماء، ولا يدور بخلد كثير منهم أن يبشر بدينه بين غير المسلمين مع أن بعضهم يملك اللغة ومعرفة أحوال وعادات وتقاليد بعض الدول الأجنبية، وأنت ترى أمام السفارات مئات الآلاف بل أكثر من المسافرين إلى هذه الدول، فلو أنَّ وزارات الأوقاف والدعوة في الدول الإسلامية أنشأت معاهد يعقد بها دورات سريعة ومكثفة وموجزة وقصيرة الوقت لإعداد هؤلاء للقيام بالدعوة الإسلامية ومساعدة الدعاة المتخصصين والحفاظ على معتقداتهم من المنصرين لكان فتحاً عظيماً.

جـ .وثالثة الأثافي غياب الصورة الحقيقية للإسلام عن واقع المسلمين، مما أدى إلى انحسار الإسلام انحساراً واضحاً عن واقع الحياة المعاصرة على مستوى الأفراد والجماعات والمؤسسات ،لقد (أصبح المسلم في هذه الأيام حجة للكافر على كفره، وفتنة له يضل بها عما أقام الحق من أعلامه، فإذا قيل: إنَّ الإسلام خير الأديان ، وأصحب هذا القول بألف دليل، كلها أوضح من الشمس، وأنفى للشك من ضوء البدر لظلام الليل، رأيت علة واحدة تهدم كل ما بُني من الأدلة، وهي: لو كان الإسلام ديناً صحيحاً ما وجدنا أهله المستمسكين به .في زعمهم .على ما نرى من فساد الأخلاق وسقوط الهمم وضلال العقول، هكذا أصبحنا فتنة للذين كفروا، و ينبهنا على ما صرنا إليه بتعليمه إيانا كيف ندعوه إذ يقـــــول:﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

(١) كيف نفهم الإسلام،للشيخ/محمد الغزالي،ص ١٣ . ١٥ باختصار كبير،ط دار الدعوة، الإسكندرية،مصر، ط أولى، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة الممتحنة،الآية (٥)، وما كان تعليمه الدعاء إلا لنتوسل بالعمل إلى ما نطلب منه أو ندعوه المعونة على ما قصد من موافقة رضاه،فلو فقه المسلم لابتعد جهده عما يجعله فتنة للكافرين وجعل ورده ليله ونهاره ولكان همه أن يكون بكماله قذى في عين أعدائه، لا أن يكون حقيراً في أعينهم ضحكة لهم في محافلهم .

لقد حدث في هذه الأيام الأخيرة أن قسيساً [١] إنكليزياً هداه البحث إلى شئ من محاسن دين الإسلام إلا انه يصعب عليه أن يعلن عن إسلامه ... وله معارضون كثير من الإنكليز وغيرهم، وإذا تقصيت البحث في جميع حججهم لا تجد في مقدماتها إلا ما يكون راجعاً إلى ما عليه المسلمون الآن من الأخلاق والعوائد والأفكار، وكلما جاء الرجل لهم بشيء من أحكام كتاب ، أو بأثر من آثار المسلمين الأولين، رأيت أولئك الجاحدين يقابلونه بأحكام يعدها المسلمون من حدود دينهم، ويعولون عليها في أعمالهم وهي مقصية لهم عن الكمال، ساقطة بهم عن أدنى مراتب الرجال، فكلما ردهم إلى ورسوله ردُّوه إلى المنتسبين إلى هذا الدين القويم ،... [٢] .

ويضاف إلى الأسباب السابقة أثر المدرسة والصحبة ودور العبادة والموروثات الثقافية.

__هذه الأسباب وغيرها أسفرت عن وجود ثلاث طوائف من غير المسلمين:

إحداها: طائفة لم تبلغها دعوة الإسلام، وهي تريد الهدى وتسعى إليه وتحبه وتؤثره على الضلال، لكنها غير قادرة عليه ولا على طلبه .

وثانيتها: طائفة بلغتها دعوة الإسلام في صورة مقلوبة بسبب الواقع السيئ الذي يمر به العالم الإسلامي من جانب، والإعلام الغربي الذي يملكه اليهود من جانب آخر .

---

(١) هو القس إسحاق طيلر .

(٢) الأعمال الكاملة، للأستاذ الإمام/ محمد عبده، ج ١ ص ٦٧٨، ٦٧٩، تحقيق: د/ محمد عمارة، ن: دار الشروق، القاهرة، ط أولى، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الطائفة الثالثة: طائفة جاحدة معاندة غليظة الكفر تسعى في إطفاء نور وصد عباده عن دينه بها تصل إليه قدرتهم وهذه الطائفة مؤاخذة في الآخرة بلا ريب .

أما الطائفتان الأوليان فلا يتيسر إجمال الحكم عليهما، إذ لابد في هذا المقام من تفصيل به يزول الإشكال وهو الفرق بين مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق فأعرض عنه، ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه، والقسمان واقعان في الوجود، فالمتمكن المعرض مُفَرِّط تارك للواجب عليه لا عذر له عند ، وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه فهما قسمان أيضاً: أحدهما: مُريد للهدي مؤثر له مُحب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات، ومن لم تبلغه الدعوة .

الثاني: مُعْرِض لا إرادة له، ولا يُحدِّث نفسه بغير ما هو عليه، فالأول يقول: يارب لو أعلم لك ديناً خيراً مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه، ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه، ولا أقدر على غيره، فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي، والثاني راض بما هو عليه لا يؤثر غيره عليه، ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته، وكلاهما عاجز. وهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق: فالأول كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزاً وجهلاً، والثاني كمن لم يطلبه بل مات على شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض، فتأمل هذا الموضع، و يقضى بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق، وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا، فذلك مما لا يمكن الدخول بين وبين عباده فيه [1] .

وبنحو هذا قالت بعض الفرق الإسلامية، حيث ذهبت فرقة الثمامية [2] من المعتزلة إلى أن من الكفار من لا يعلم خالقه وهو معذور .

([1]) يراجع: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، ص ٣٢٩ .

([2]) الثمامية: أتباع أبي معن، ويقال أبو بشر . ثمامة بن الأشرس النميري، يعد في الطبقة السابعة من رجال المعتزلة، كان أول اتصاله بالخلفاء بهارون الرشيد،من بدعه:القول بأن الأفعال المتولدة أفعال لا فاعل لها والزعم بأن من لم يضطره الله إلى معرفته لم يكن مأموراً بالمعرفة ولا منهياً عن الكفر، وكأن مخلوقاً للسخرة والاعتبار فحسب كسائر الحيوانات .. والقول بأن دار الإسلام

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقالت فرقة الجاحظية [1]: الخلق كلهم من العقلاء عالمون بأن .تعالى .خالقهم ... ثمَّ هم صنفان: عالم بالتوحيد، وجاهل به فالجاهل معذور، والعالم محجوج.

وبما سبق يستبين أن من غير المسلمين منذ ظهور الإسلام وحتى يوم القيامة من يلحق بأهل الفترة على وجه الإجمال .

ثالثاً: وجود أهل الفترة

جاءت نصوص في الكتاب العزيز تثبت أن هناك فترة من الزمان لم يرسل فيها نبي ولا رسول، قال .تعالى :

سورة المائدة، الآية (١٩) وقال .تعالى :

سورة يس، الآية(٦).فهذه الآيات تشهد بوجود فترة من الزمان لم يرسل فيها رسل .عليهم السلام ،. ويلزم من هذا وجود فئة من الناس لم تبلغهم رسالة .تعالى ،. وهؤلاء الذين يعرفون بأهل الفترة بمعنى أخص، ويطلق عليهم: من لم تبلغهم الدعوة بمعنى أعم .

دار شرك .. ذكر الذهبي أنه مات سنة ١٧٣هـ. ينظر: العبر في خبر من غبر، للذهبي، ج ١ ص ٢٦٣ . وميزان الاعتدال، للذهبي أيضاً، ترجمة رقم ١٣٩٤، والفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ١٨٤ - ١٨٧ .

(١) الجاحظية: أتباع عمرو بن بحر الجاحظ (المعتزلي) ت ٢٥٠هـ، من بدعها: أن المعارف كلها طباع وهي مع ذلك فعل العباد وليست باختيار لهم، والقول بأن لا فعل للعباد إلا الإرادة، والزعم بأن الله - تعالى - لا يُدخل النار أحداً، وإنما النار تجذب إلى نفسها بطبعها. ينظر: المنية والأمل، للقاضي عبد الجبار الهمداني، ص ٥٨ - ٦٠، تحقيق: د/ عصام الدين محمد علي، ن: دار المعرفة، الجامعية، مصر د ت، والفرق بين الفرق، للإمام عبد القاهر البغدادي، ص ١٨٧ - ١٩٠، والتبصير في الدين، للإمام الإسفرايني، ص ٤٩، والملل والنحل، للشهرستاني، ج ١ ص٧٥، والخطط، للمقريزي، ج ٢ ص ٣٤٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وفي صحيح البخاري أن رسول ﷺ قال: ﴿ أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات [١]، ليس بيني وبينه نبي ﴾ [٢] فهذا الحديث يقطع بأنه جاء على فترة من الدهر لم يكن فيها نبي، وقد عاش في هذه الفترة أجيال لم تبلغهم دعوة نبي .

وبوجود أهل الفترة قالت الفرق الإسلامية[*] .

وخرجت جماعة التكفير والهجرة [٣] عن إجماع المسلمين بوجود أهل الفترة، فذهبوا إلى أنه ليس هناك أهل فترة، فالكل قد أقيمت عليه الحجة، وبلغته الدعوة، وأخذ عليه الميثاق [٤] .

دحض رأي جماعة التكفير في أهل الفترة:

وهذا رأي باطل لما يلي:أ .أما: قولهم الكل قد أقيمت عليه الحجة وبلغته الدعوة. فدعوى لا دليل يعضدها، ونقيضه هو الصحيح بالأدلة والواقع، وهذا كاف في دحضها، فإن عنوا أن الميثاق الأول نفسه قامت به الحجة وبُلغت به الدعوة، فلا يسند قولهم برهان؛ إذ إن الميثاق السابق الكائن

---

(١) أولاد علات: أولاد الرجل الواحد من نسوة شتى .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله (واذكر في الكتاب مريم) رقم ٣٤٤٢، ج ٢ ص ٤٦٤ .

(*) ستأتي نصوص تدل على ذلك من تصانيفهم .

(٣) جماعة التكفير والهجرة كما أطلق عليها أو جماعة المسلمين كما سمت نفسها: جماعة إسلامية غالية نهجت نهج الخوارج في التكفير بالكبيرة، نشأت داخل السجون المصرية بعد اعتقالات سنة ١٩٦٥م .. من مبادئها: تكفير مرتكب الكبيرة إذا لم يتب منها، وتكفير الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق، ويُكفّرون المحكومين من العلماء وغيرهم لرضاهم بذلك، كما يُكفّرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله ولم ينضم إلى === === === جماعتهم ويبايع إمامهم، أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد ... وكل من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع حتى ولو كان إجماع الصحابة أو بالقياس أو بالمصلحة المرسلة أو بالاستحسان ... فهو كافر، ويزعمون أن أميرهم شكري مصطفى هو المهدي المنتظر، وذهبوا إلى القول بالهجرة ويقصد بها عندهم عزلة المجتمعات الحالية لأنها مجتمعات جاهلية ، ومن ثمَّ قالوا بترك صلاة الجمعة والجماعات في المساجد لأنها مساجد ضرار في زعمهم، ودعوا إلى الأمية ومنع الالتحاق بالجامعات والمعاهد .. ادعى زعماء الجماعة أنهم بلغوا درجة الإمامة والاجتهاد المطلق، وأنَّ لهم أن يخالفوا ما أجمعت عليه الأمة، وأوجبوا التوقف والتبين بالنسبة لآحاد المسلمين .

ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج ١ ص ٣٣٣ . ٣٣٩ باختصار شديد، عمل: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ن: دار الندوة العالمية، الرياض، ط٤ سنة ١٤٢٠هـ .

(٤) ينظر: السابق في الموضع نفسه .

السدة للفكر والثقافة
www.sadah.net

في عالم الذر ليس فيه إقامة حجج ونصب أدلة وإزالة علل ودرء أعذار وتبليغ دعوة ومجيء الآيات بينات .

وإنما فيه إشهاد الحق .تعالى .ذرية بني آدم على أنفسهم بأنه .تعالى .ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، فشهدوا وأقروا، قال .تعالى : ﴿ ﴾ سورة الأعراف، الآيتان (١٧٢، ١٧٣) .

بيد أن الميثاق الأول لا يلزم به حكم ولا يؤاخذ به في الدنيا ولا في الآخرة ،فعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي | قال:﴿ يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به،قال:فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت أن لا تشرك بي ﴾[1] .فهذا الحديث يبرهن على أن الكافر قد أقر بالتوحيد وهو في عالم الذر في ظهر أبيه آدم عليه السلام، ثمَّ أدرك الميثاق الآخر أو الثاني وهو وصول الدعوة إليه، فلم يؤمن وجحد وعاند فلم ينفعه الميثاق الأول ولم ينجه من النار، ولو كان مؤاخذاً بالميثاق الأول في صلب آدم لنجا لإقراره بالتوحيد .

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار رقم ٦٥٥٧، ج ٤ ص ٢٣٥، وأخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة، باب: طلب الكافر الفداء، ج ١٥ ص ١٤٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سئل عن هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ سورة الأعراف، الآية (١٧٢) فقال ﷺ: قال: ﴿ سمعت رسول ﷺ سئل عنها فقال: إنَّ خلق آدم عليه السلام ثمَّ مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثمَّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل يا رسول : ففيم العمل؟ قال رسول ﷺ : إذا خلق العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيُدخله به النار ﴾ [1]

فهذا الحديث يبين أن أهل الجنة ما نالوا النعيم، وأهل النار ما جوزوا بالعذاب حتى عملوا الأعمال التي استحقوا بها ما حق لهم، وأهل الفترة لم يبلغهم أعمال أهل الجنة حتى يعملوا بها، وأعمال أهل النار حتى يدعوها .

وقد جاءت جملة من الآثار لها حكم الرفع تقوي هذا المعنى، فعن ابن عباس ﷺ قال: أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب: القدر، باب: النهي عن القول بالقدر، وأبو داود، كتاب: السنة، باب: في القدر رقم ٤٧٠٣، والترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف رقم ٣٠٧٥، والنسائي في سننه، كتاب: تفسير القرآن، تفسير سورة الأعراف، وأحمد في مسنده ١/ ٤٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة الأعراف، الآيتان (١٧٢، ١٧٣).

قال: أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم:

قالت الملائكة:

.[1]

الآيات قال: فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق

الآية، قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، أعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً وإني سأرسل إليكم رسلاً لينذروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم، فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يارب لو سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السُّرج، عليهم النور، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة، فهو الذي يقول تعالى:

الآية(الأحزاب:٧)، وهو الذي يقول:

---

(١) أورده الطبري في تفسيره، ج ٩ ص ١١٠.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

[illegible] الآيـــة (الـــروم:٣٠)، ومـــن ذلـــك قـــال: [illegible] (النجم:٥٦) ومن ذلـــك قـــال: [illegible] الآية (الأعراف: ١٠٢) [illegible] [1]

ووردت أحاديث وآثار كثيرة مروية عن ابن عباس ﷺ ومجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير وقتادة والكلبي ومحمد بن كعب القرظي وابن جريج والسدي[**] وغير واحد من علماء السلف توافق ما ذكر من أخبار تركت خشية التطويل .

ب .ثمَّ إن المفسرين قد تعددت آراؤهم في حمل الإشهاد الكائن في الميثاق الأول على الحقيقة أوالمجاز، وعلى أرواح بني آدم أم على أشباحهم .

الرأي الأول: فذهب جمهور المفسرين وأهل الأثر إلى حمل الآية على الحقيقة والظاهر، ومعناها: أنه .تعالى .أخرج الذرية من ظهور بني آدم على هيئة الأشباح في صور النسم وقدر خلقها وآجالها وأعمالها، واستخرج تلك الصور من مادتها ثمَّ أعادها إليها، وأشهد الذرية على أنفسها بأنه لا إله غيره ولا رب سواه وأن لا يشركوا به شيئاً فشهدت وأقرت، فميز شقيهم وسعيدهم ومعافاهم من مبتلاهم .

وجاء في الأحاديث النبوية التي سيق بعضها آنفاً أنه أخرج الذرية من ظهر آدم[***]، وليس في لفظ الآية ما يدل على ثبوته، وليس في الآية أيضاً ما يدل على بطلانه، فيحمل على أنه .تعالى .يعلم أن

(*) يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم الله وهم في صلب آدم،حيث قال تعالى: [illegible] (الأعراف:١٧٢)، فلما أخذ الله منهم هذا العهد وأقروا به، ثم خالفوا ذلك، صار كأن ما كان لهم عهد، تفسير الرازي ٧/ ٢١٣، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٩ .

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد، والطبراني في الكبير ٨/ ٢٨٨، وابن جرير في تفسيره لسورة الأعراف ٩/ ١١٠، وابن أبي حاتم،وابن مردوية في تفسيرهما من كلهم من رواية أبي جعفر الرازي به . وقال ابن القيم في كتاب: الروح، ص ١٩٦، وهذا إسناد صحيح، وذكر ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٩١ طرقاً يتقوى بها .

(**) يمكن أن تراجع في تفسير الطبري ٩/ ١١٠ . ١١٤، والدر المنثور، ج ٣ ص ٥٩٩ . ٦٠١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الشخص الفلاني يتولد منه فلان وذلك الفلان فلان آخر، فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض .

أو يحمل على أنه .تعالى .أطلق الكل وأراد البعض كما قال .تعالى .في السورة عينها:

سورة الأعراف، الآية (١١) أي خلقنا أباكم ثمَّ صوَرنا أباكم آدم، ثمَّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .

وجائز أن يكون .سبحانه .جعل لأمثال الذر فهما تعقل به كما قال .سبحانه :

سورة النمل، الآية (١٨)، وكما سخر لداود عليه السلام الجبال تسبح معه والطير .. فقد ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم، كما جعل للجبال عقلاً حين خوطب أو يقال: أعطاهم إلهاماً يفهمون به السؤال .

الرأي الثاني: حمل الآية على غير الظاهر وإجراؤها على التمثيل لا على الحقيقة، فذكروا في معناها أنه .تعالى .نصب لهم الأدلة على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم، فصار ذلك جارياً مجرى ما إذا أشهدهم على أنفسهم فأقروا بوحدانيته .وفسروا الإشهاد الوارد في الآية بفطرهم على التوحيد، وإظهار الآيات والبراهين التي تضطرهم إلى أن يعلموا أنه خالقهم .

نصر هذا الرأي كثير من المفسرين منهم الرازي في تفسيره [١] وابن كثير في تفسيره [٢]،ومال إليه القرطبي في جامعه [٣] ، وذكر أن القفال [١] أطنب في تأييده .وذكر هؤلاء في تفسير الآية:أنه فطرهم

(***) عنيت أن الآيات فيها أنه . تعالى . أخرج الذرية من ظهور بني آدم، والأحاديث فيها أنه استخرج الذرية من ظهر آدم لا من ذريته .

(١) تفسير الرازي، ج ٧ ص ٣٤٩ .

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٣٩١، ٣٩٢ .

(٣) تفسير القرطبي، ج ٧ ص ٣١٤. الروح، المنسوب لابن القيم، ص ٢٠٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

على التوحيد ولهذا قال (ولم يقل من آدم (من ظهره)، (ذريتهم) أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن كقوله تعالى: سورة الأنعام، الآية (١٦٥) وقال: سورة النمل، الآية (٦٢) وقال: سورة الأنعام، الآية (١٣٣) وجعلهم بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته. أي أوجدهم قائلين له حالاً، والشهادة تارة تكون بالقول كقوله: سورة الأنعام، الآية (١٣٠) وتارة تكون حالاً كقوله: سورة التوبة، الآية (١٧) أي حالهم شاهدين عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قوله تعالى: سورة العاديات، الآية (٧) كما أن السؤال تارة يكون بالمقال وتارة يكون بالحال كقوله: سورة إبراهيم، الآية (٣٤) قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا هذا أن أجعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه، فإن قيل: إخبار الرسول | به كاف في وجوده،

---

(١) القفال (٢٩١ - ٣٦٥) هو محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي، أبو بكر، ولد بالشاش، أخذ عن ابن خزيمة والطبري والمدائني، كان شاعراً فصيحاً، إماماً في الزهد والورع، وعنه انتشر مذهب الشافعي فيما وراء النهر، كان يميل أولاً إلى الاعتزال، ثمَّ رجع إلى مذهب أهل السنة، له كتاب في الأصول، وله شرح رسالة الشافعي، وآداب القضاء وغيرها. وينظر: طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي، ج ٢ ص ١٧٦، وشذرات الذهب، لابن العماد، ج ٣ ص ٥١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فالجواب: أن المكذبين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم، فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد، ولهذا قال: (أن تقولوا) أي لئلا تقولوا يوم القيامة (إنا كنا عن هذا) أي التوحيد [1] .

وعلى هذا التقدير يكون قوله (شهدنا) من بقية كلام الذرية، وقوله .تعالى. متعلق بقوله .تعالى. والتقدير، وأشهدهم على أنفسهم، بكذا وكذا لئلا يقولوا يوم القيامة: أو كراهية أن يقولوا ذلك .

وقيل: إن قوله: من كلام الملائكة .عليهم السلام .وذلك أنهم لما قالوا: قال للملائكة اشهدوا فقالوا: وعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله .تعالى. لأن كلام الذرية قد انقطع هاهنا .وقوله .تعالى. تقديره:أن الملائكة قالوا:شهدنا عليهم بالإقرار لئلا يقولوا ما أقررنا أو شهدنا كراهة أن يقولوا .

الرأي الثالث: وفي الآية قول ثالث: وهو أن الأرواح البشرية موجودة قبل الأبدان، والإقرار بوجود إله من لوازم ذاتها وحقائقها [2] ، ومعنى الآية عندئذ أنه .تعالى. أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وجعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها، وأشهدها على أنفسها فأقرت وأذعنت بأنه لا إله إلا هو، فالاستنطاق والإشهاد كان للأرواح إذ لم تكن الأبدان حينئذ موجودة .

---

(1) تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٣٩١، ٣٩٢ .

(2) تفسير الرازي ٧/ ٣٥٠، وتفسير القرطبي ٧/ ٢١٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

واستدلوا بالأحاديث والآثار التي اعتمد عليها أصحاب الرأي الأول، وأولوها على أن المأخوذ من ظهور بني آدم والمستنطق والشاهد هو الأرواح .

وقول جمهور المفسرين أرجح لوجوه:أحدها: أن الأصل حمل اللفظ على معناه الظاهر ما لم يقم دليل يقتضي العدول عنه، ولا يوجد دليل من كتاب أو سنة أو إجماع .

ب : جاءت مجموعة من الأحاديث والآثار تؤكد رأي جمهور المفسرين، وقد سبق ذكرها .

جـ .الفطرة الإنسانية التي صير .تعالى .بها الخلق مستعدين ومهيئين لقبول الدين الحق، وآباؤهم يميلون بهم عن هذه الفطرة لأنهم يولدون بصحيفة بيضاء قابلة لنفشها بالخير أو الشر،فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول | : ﴿ ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسبون فيها من جدعاء؟ ثمَّ يقول أبو هريرة ﷺ واقرءوا إن شئتم: ﴿ (الروم: ٣٠) ﴾ [1] .فلو كان بعض الأطفال قد خرجوا من بطون أمهاتهم كفاراً ما كان لقوله | ﴿ فأبواه يهودانه ....﴾ فائدة،لأنهم حينئذ نقلوهم من كفر إلى كفر،ولم يحصل تبديل ولا تغيير .

وقوله .تعالى : ﴿ سورة الروم،الآية(٣٠) .سواء فسرنا الفطرة فيه بمعنى الإسلام كما هو معروف عند عامة السلف من أهل التأويل،أو فسرناها على أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل والتي هي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات .تعالى .،ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به،فكأنه .تعالى . قال:(أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف،وهو فطرة الذي على الإعداد له فُطر البشر،لكن تعرضهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين ١/ ٢٤٠، وقد تقدم تخريجه .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

العوارض،ومنه قول النبي | :﴿ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصرانه ﴾ فذكر الوالدين إنما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة) ،ومنه قوله | حاكيا عن ربه _تعالى_:﴿ إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ﴾ [1]،الشاهد أنه .تعالى. جبلهم وفطرهم على أنه لا إله إلا هو، وأذعنت لذلك الفطر، وخضعت له العقول إلى أن اتبعوا خطوات الشياطين فطمست فطرهم وفسدت عقولهم .

ف .تعالى .خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم، وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات،فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق، وقد دلّ على صحة هذا المعنى قوله | ﴿ كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ﴾ يعني أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليماً من الآفات، فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقي كاملاً بريئاً من العيوب، لكن يُتصرف فيه فيُجَدع أذنه ويوسم وجهه فتطرأ عليه الآفات والنقائص فيخرج عن الأصل، وكذلك الإنسان، وهو تشبيه واقع، ووجهه واضح .

وهذا القول مع القول الأول موافق له في المعنى، وأن ذلك بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا، وتأكدت حجة عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة: من خلق السماوات والأرض والشمس والقمر، والبر والبحر، واختلاف الليل والنهار، فلما عملت أهواؤهم فيها أتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية فذهبت بأهوائهم يميناً وشمالاً، وأنهم إن ماتوا صغاراً فهم في الجنة[*] [2] سواء كانوا من أولاد المؤمنين أو أولاد المشركين على الأرجح من أقوال العلماء .

([1]) أخرجه مسلم، كتاب:الجنة،باب:الصفات التي يعرف بها أهل الجنة رقم (٢٨٦٥) ج ١٥ ص ١٩٧ ـ ١٩٩ .

[*] مسألة أطفال المشركين هل هم في الجنة أم في النار ... يمكن أن تراجع: التمهيد، لابن عبد البر، ج ٨ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٢، والاعتقاد الهادي إلى سبل الرشاد، للبيهقي، ص ١٦٠، وفتح الباري، لابن حجر، ج ٣ ص ٢٩٠، ٢٩١، وطريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، ص ٣٧٠ ـ ٣٧٧، ط دار الحديث، القاهرة، ط ٤ سنة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ، وبذل المجهود في حل أبي داود، للسهارنفوري، ج ١٢ ص ١٩٠ ـ ٢١٠، وتحفة الأحوذي، للمباركفوري، ج ٥ ص ١٩١ ـ ١٩٣ .

([2]) تفسير القرطبي ١٤/ ٢١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

د .لو كان الثواب والعقاب بالميثاق السابق لما كان هناك داع لإنزال الكتب وإرسال الرسل ووضع الشرائع،فلو صح هذا الزعم لبطلت الشرائع وبطل الأمر والنهي، ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب،كما لو صح هذا الادعاء لما كان هناك ثمرة أو حكمة لخلق إبليس وجنوده والأنبياء وأوليائهم، ونصب راية الجهاد، ودعوة غير المسلمين إلى الدخول في دين ،بل وما كان هناك داع لإيجاد الدنيا بعد هذا الميثاق، وللزم منه إحداث الدار الآخرة بديلاً لدار الدنيا، وإلغاء دار البرزخ لعدم فائدتها .

هـ .وهذا أيضاً مناف لعدل .تعالى .،فإنه .سبحانه .عادل في كل ما يفعله بعبده من قضائه كله،خيره وشره حلوه ومره فعله وجزائه،ولا يجوز في العدل استواء حكم من جاءه نبي وبلغته الدعوة وأقيمت عليه الحجة بمن لم تبلغه دعوة،ولم يأته رسول .

و .والأدلة الشرعية والتاريخ والواقع شاهدة بأن أناسي كثيرين بلغتهم دعوة الرسل فآمنت طائفة منهم وكفرت طائفة .

ز .أن الثواب والعقاب والمدح والذم، والترغيب والترهيب يبطل هذا المذهب الذي ينصرونه .

ح .لا يمكن القطع بأن .تعالى .خلق أهل النار للنار دون بعث رسله .عليهم السلام .إليهم، وإقامة حججه عليهم، لأن كثيراً من الآيات القرآنية دالة على أنه .تعالى .أراد من الجميع الطاعة والعبادة والخير والصلاح، قال .تعالى :

سورة الفتح، الآيتان (٨، ٩)، وقال:

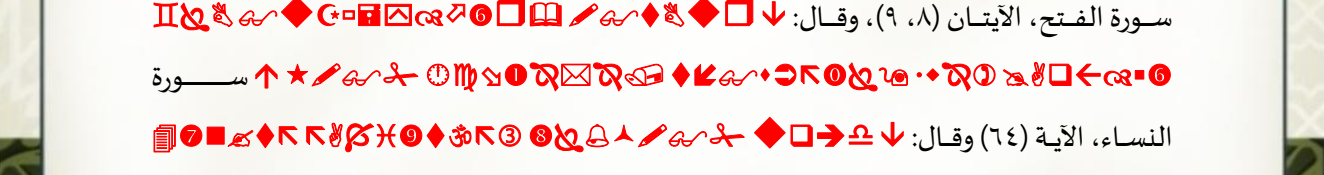

سورة النساء، الآية (٦٤) وقال:

سورة الحديد، الآية (٩) وقال:

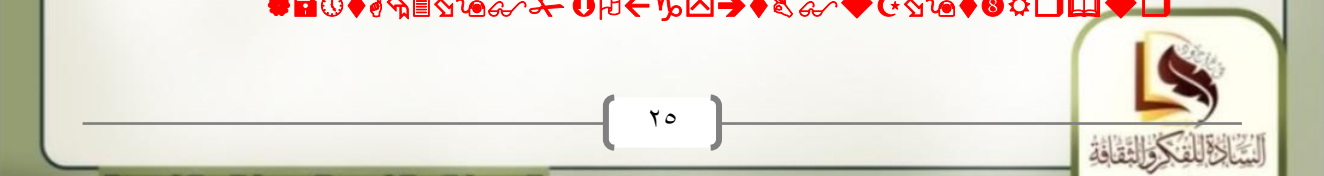

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

[illegible] سورة الحديد، الآية (٢٥)وقال: [illegible] سورة إبراهيم، الآية (١٠) وقال: [illegible] سورة الذاريات، الآية (٥٦)، وأمثال هذه الآيات كثيرة وكثيرة .

الرأي الثالث:قال عبد العزيز بن يحيي الكناني [١] عن أطفال المشركين: إنهم الذين ماتوا في الفترة [٢] .

ويفهم من قوله أنه لم يفرق بين أطفال المشركين وأهل الفترة، وقد يفهم من كلامه أنه أراد أن أطفال المشركين يساوون في الحكم عليهم في الآخرة أهل الفترة .

وعلى الاحتمال الأول .وهو الأبعد .فيكون ماهيتهما عنده واحدة، وهذا ما لا يتصور، ولا يعقل عنه ولا عن غيره .

وعلى الاحتمال الثاني فيأخذون حكم أهل الفترة في الآخرة، والذي يظهر أن كاف التشبيه قد سقطت من عبارته، وأصل كلامه: إنهم كالذين ماتوا في الفترة .

وعلى كل الاحتمالات، فإنه لا ينكر وجود أهل الفترة .

---

(١) عبد العزيز بن يحيي بن عبد العزيز بن مسلم الكناني، المكي، صاحب كتاب: الحيدة في انتصار المذهب السلفي، كان يلقب الغُول، صدوق وفاضل في الحديث، اشتهر بصحبة الشافعية، ناظر بشراً المريسي في القرآن، مات بعد سنة ٢٣٠هـ. ينظر: تقريب التهذيب،للحافظ ابن حجر العسقلاني،ج ١ ص ٥١٣ بتصرف،رقم ١٢٦١، ط ٢ سنة ١٣٩٥هـ. ١٠٧٥م د ن .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، ص ٣٧٣، ن: دار الحديث، القاهرة، ط ٤ سنة ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م .

** وذكر الشاطبي في الاعتصام ص١٤٤ أن العلماء قسموهم إلى قسمين قسم غابت عليه الشريعة ولم يدر ما يتقرب به إلى الله فوقف عن العمل بكل ما يتوهمه العقل أنه تقرب إلى الله ورأى ما عليه أهل عصره فلم يستفزه ذلك عن الوقوف عنه فهؤلاء هم أهل الفترة ،وقسم لابس ما عليه أهل عصره من عبادة غير الله فاعتقد ما اعتقدوه فهؤلاء غير معذورين وذكر أن من العلماء من أطلق فقال :لا يعذب أحد إلا بعد إرسال الرسل .السابق ن مدار الوطن _ الرياض ط٢ سنة ١٤٢٨هـ.٢٠٠٤م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والذي يبدو لي أنه يرى أنهم سيمتحنون في الآخرة كما يمتحن أهل الفترة .

وستتجلى مناقشة هذا الرأي فيما يأتي .

رابعاً: أقسام أهل الفترة

إذا استقرأنا نصوص شرعنا ألفينا أهل الفترة ليسوا سواءً،لاختلاف الأعمال التي قدموها،والعقائد التي دانوا بها،لذا يمكن تقسيم أهل الفترة حسب هذه المعاني إلى ثلاثة أقسام ** :

الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته، ثمَّ من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة [١]، وزيد بن عمرو بن نفيل [٢]، ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم[*] كتُبَّع [٣] وقومه .

القسم الثاني: مَن بدَّل وغيَّر وأشرك ولم يوحد وشرَّع لنفسه فحلل وحرَّم، كعمرو بن لحي [٤] أول من سن للعرب عبادة الأصنام، وشرَّع الأحكام فبحَّر البحيرة وسيَّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى

---

(١) قس بن ساعدة الأيادي: شاعر الجاهلية المشهور .

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي القرشي العدوى، والد سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشرين بالجنة ﷺ أحد الحنفاء وحد الله ـ تعالى ـ وحرم على نفسه الربا والخمر وقتل المؤودة وذبائح الأصنام .. وضرب في الأرض يطلب دين إبراهيم عليه السلام فلم يظفر به. ينظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٤٨ ـ ١٥٢.

(*) أي شريعة موسى عليه السلام .

(٣) تُبع: هو تبع بن أسعد أبو كريب بن ملكيكرب اليماني، وهو تبع الأوسط ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستاً وعشرين سنة، ولم يكن في ملوك حمير أطول مدة منهُ، أسلم على يد حبرين من اليهود، وتوفى قبل مبعث رسول الله | بسبعمائة سنة، له ترجمة مطولة في تاريخ دمشق، ج ١٠ ص ٤٠٧ (التهذيب) وسيرة ابن هشام، ج ١ ص ٢٦ ـ ٢٣، ط دار الفجر، الأزهر، ط أولى سنة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، وتفسير الطبري، ج ٢٥، وتفسير ابن كثير، ج ٤ ص ٢٠٩، ٢١٠ .

(٤) عمرو بن عامر بن لحي بن قمعة بن خندف الخزاعي: كان أول أمره حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة، جعلته العرب لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شِرعة، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الحامي [١]، وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة، وحرَّقوا البنين والبنات، واتخذوا بيوتاً جعلوا لها سدنة وحُجَّاباً يضاهون بها الكعبة كاللات والعزي ومناة .

القسم الثالث: من لم يشرك ولم يوحِّد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة، ولا اخترع ديناً، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله، وفي الجاهلية من كان كذلك .

وأصحاب هذا القسم هم أهل الفترة على التحقيق وهم أكثر الناس الذين عاشوا بين زمان نبي ونبي، وإذا أطلق نعت أهل الفترة فإنما تلتفت الأنظار إلى هذا القسم .

فإذا انقسم أهل الفترة إلى الثلاثة الأقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما لا يعذرون به [٢] .

وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين للقطع كما تقدم .

وأما القسم الأول فقد قال | :عن زيد ﴿ إنه يبعث أمة وحده [١] ﴾ [٢]، بل روت أم المؤمنين عائشة .رضي عنها .قالت: قال رسول | : ﴿ دخلت الجنة، فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين ﴾ [٣] أي في الجنة .

---

(١) البحيرة: هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكراً ذبحوه كله للرجال دون النساء، وإن كان أنثى جدعوا آذانها فقالوا: هذه بحيرة .

والسائبة: هي التي يسيبونها لآلهتهم، وقيل: هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهن ذكر سيبت فلم تُركب ولم يُجز وَبَرها ولم يُحلب لبنها إلا للضيف .

والوصيلة: هي الشاة إذا نتجت سبعة أبطن نظروا إلى السابع فإن كان ذكراً وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء، وإن كان أنثى استحيوها وغن كان ذكراً وأنثى في بطن واحدة استحيوها، وقالوا: وصلته أخته فحرمته علينا.

والحام: الفحل من الإبل إذا ولد ولده قالوا: حمى هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئاً ولا يجزون له وبراً ولا يمنعونه من حمى رعي ومن حوض يشر ب منه وإن كان الحوض لغير صاحبه، وقيل: غير ذلك .

سيرة ابن هشام ١/ ١١٤، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٠٧، ١٠٨ .

(٢) منهم عمرو بن لحي، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله | : ﴿ رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجرُّ قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب ﴾ أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: قصة خزاعة رقم ٣٥٢١ ج ٢ ص ٤٨٢، وأخرجه مسلم، كتاب: الجنة والنار، باب: جهنم، ج ١٥ ص ١٨٨ .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وأما تبع (تبع الأوسط) فقد أسلم لقول رسول | :﴿ لا تسبوا تُبعاً فإنه قد كان أسلم﴾[٤].ويومئ إلى هذا المعنى قول .تعالى .

سورة الدخان، الآية (٣٧) فإنه يشير إلى أنه قد دعا قومه إلى الإسلام فكذبوه فأهلكهم .تعالى .لأنه ذمهم ولم يذمه .

وانقسام أهل الفترة إلى هذه الأقسام يؤدي إلى اختلاف الحكم عليهم في دار البرزخ والدار الآخرة .

خامساً: مرجع الحكم على أهل الفترة

إذا أردنا التعرف على آراء الفرق الإسلامية في نجاة أهل الفترة في الدنيا والآخرة، فلابد من معرفة القاعدة الأصولية التي ترجع إليها هذه المسألة، والحكم على أهل الفترة يعود إلى مسألة الحسن والقبح، هل يستقل العقل بإدراكهما، فتجب معرفة .تعالى .به، أم أن الحسن والقبح لا يثبتان إلا بالشرع، ولا تلزم معرفة .تعالى .إلا به،هنا تعددت آراء الفرق الإسلامية، لكن قبل عرض وجهة نظرهم واستدلالاتهم عليها لابد من تحديد موضع النزاع، فإن الحسن والقبح يطلقان على ثلاثة معان:

الأول: كون الشيء ملائماً للطبع ومنافراً له .

الثاني: كونه صفة كمال، وكونه صفة نقصان .

---

(١) القول بنجاة أبوي النبي | ، الحاوي، ج ٢ ص ٢٠٩ بتصرف شديد .

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوية، ج ٢ ص ١٢٤، وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، ج ١ ص ١٤٨ .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، ج ٦ ص ٣٣٧، ورمز إليه بالحسن الألباني في صحيح الجامع، رقم ٣٣٦٧، وفي السلسلة الصحيحة ١٤٠٦، ج ٣ ص ٣٩٦ .

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠) رقم ٢٢٩٣١، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٣) رقم ٦٠١٣ و (١/ ٢٩٦) رقم ١١٧٩٠، والأوسط (٢/ ١١٢) رقم ١٤١٩، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٧٦٩: فيه أحمد بن أبي بزة المكي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات، وقال الأرنؤوط:حسن لغيره،،ورمز إليه الألباني بالصحة في صحيح الجامع،رقم (٧٣١٩) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الثالث: كون الشيء متعلق المدح عاجلاً والثواب آجلاً، وكونه متعلق الذم والعقاب آجلاً.

فالحسن والقبح بالمعنيين الأولين يثبتان بالعقل اتفاقاً، أما بالمعنى الثالث فقد اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن العقل لا يعلم به حسن الفعل ولا قبحه، أما في حق فلأن القبيح ممتنع لذاته، وأما في حق العباد فلأن الحسن والقبح لا يثبت إلا بالشرع، وهذا قول الأشعرى وأتباعه وفرقة الضرارية [1]، و ظاهر مذهب الخوارج [2].

القول الثاني: أن العقل يُعلم به حسن كثير من الأفعال وقبحها في حق وحق عباده، وهذا قول المعتزلة والماتريدية [3] والشيعة والكرامية [4] والنجارية [1] والجهمية ونسب للحنفية من الفقهاء.

([1]) إحدى فرق الجبرية (الجهمية) ينسبون إلى ضرار بن عمرو، من آرائها غير ما وافقوا فيه الجبرية: أفعال العباد مخلوقة للباري ـ تعالى ـ حقيقة، والعبد مكتسبها حقيقة، إنكار أحاديث الآحاد في الأحكام، والإجماع بديل لها، وجود حاسة سادسة يرى العبد بها ربه ـ تعالى ـ في الجنة، وحكى عنها أنها أنكرت قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ﷺ . ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري، ج ١ ص ٣٣٩، ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، والفرق بين الفرق، لعبد القاهر، البغدادي، ص ١٢٩، ط مكتبة دار التراث، القاهرة د ت، الملل والنحل، للشهرستاني، ج ١ ص ٩٠٩، ٩١، ط مصطفى الحلبي، سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

([2]) الملل والنحل ١/ ١٢٣، وبه قالت الإباضية كما في معالم الدين، ص ٢٨٩ .

([3]) هم أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي، من تصانيفه كتاب: التوحيد، وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب الجدل، من آرائه: يمكن معرفة الله بالعقل، تعليل أفعال الله ـ تعالى ـ، وفي أفعال العباد يرى أن العبيد يستطيع أن يكسب الفعل بقدرة مخلوقة فيه ويستطيع ألا يكسبه بهذه، وقوله في القرآن قريب من قول المعتزلة، ووافق الأشاعرة في مرتكب الكبيرة والرؤية والصحابة والسمعيات لذا اعتبر ممثلاً للطرف الثاني لأهل السنة، وتوفى سنة ٣٣٣هـ. ينظر: كشف الظنون، ج ٢ ص ٤٠٦، وتاريخ المذاهب الإسلامية، للشيخ/ محمد أبو زهرة، ج ١ ص ١٧٣ ـ ١٨٦ .

([4]) هم أتباع محمود بن كرّام السجستاني ولد بسجستان ثم انتقل حين شب عوده إلى خراسان، عرف ابن كرام بالزهد، وكانت له آراء أهمها: زعمه أن الله ـ تعالى ـ جسم، وقوله بأن الإيمان إقرار باللسان فقط، وجواز البيعة لإمامين في قطرين، توفى سنة ٢٥٥هـ. ينظر عنه وعن توجيه آرائه: التجسيم عند المسلمين، د/ سهير محمد مختار، ص ٤٣ ـ ٩٥، رسالة ماجستير، ط أولى سنة ١٩٧١م دن، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٢٧، والفرق بين الفرق، ص ٢٢٧ ـ ٢٣٦، والملل والنحل، ج ١ ص ٣٢، ٣٣

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

القول الثالث:القول بالتحسين والتقبيح العقليين في أفعال العباد دون أفعال .تعالى ،. وهذا اختيار الرازي في آخر مصنفاته [٢] .وقوله يرجع إلى رأي المعتزلة ومن ارتضى رأيهم لأن أهل المقالات اتفقوا على أن أفعال .تعالى .كلها حسنة .

مناقشة هذه الآراء :

وبعد فإنه قد انحصر الخلاف بين المتكلمين في استقلال العقل بإدراك الحسن والقبيح .إذا نحن فسرنا الحسن بأنه الفعل الذي يتعلق به المدح والثواب، والقبيح بأنه الفعل الذي يتعلق به الذم والعقاب في رأيين :

الرأي الأول: رأى الأشاعرة ومو افقيهم في ما تجب به معرفة :

فالأشاعرة وموافقوهم يرون أن الشرع يستقل وحده بالحكم على الأشياء تحسيناً وتقبيحاً، فما حسنه الشرع فهو حسن، وما قبحه الشرع فهو قبيح، والعقل لا يستقل بالحكم على الأشياء بأنها حسنة أو قبيحة، وأحكام العقل تابعة لأحكام الشرع .

وليس للفعل نفسه حسن ولا قبح، وإنما حسنه ورود الشرع بإطلاقه، وقبحه وروده بحظره، وإذا ورد النقل بالإطلاق أو الحظر فحسنَّاه أو قبَّحناه بهذا المعنى، فحاله بعد ورود الشرع .أي الحسن والقبح .كحاله قبل وروده .

(فالواجبات كلها سمعية، والعقل لا يوجب شيئاً، ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً، فمعرفة . تعالى .بالعقل تحصل، وبالسمع تجب، قال .تعالى :

---

(١) يقال لهم النجارية والحسينية لأنهم ينسبون إلى الحسين بن محمد النجار، الذي تنتمي فرقته إلى فرقة الجبرية، من آرائها غير ما وافقت فيه الجبرية: أعمال العباد مخلوقة لله وهم فاعلون لها، مرتكب الكبيرة إذا مات عوقب على ذلك ويجب أن يخرج من النار. ينظر: الملل والنحل ١/ ٨٨ . ٩٠، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٨٣، والفرق بين الفرق، ص ١٠٧ .

(٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، ج ١ ص ٤٤٨ . ٤٥٠ بتصرف شديد، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، ط جامعة محمد بن سعود، ط أولى سنة ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م، وينظر: جلاء العينين في محاكم الأحمدين، لابن الألوسي، ص ٢٨٦ . ٢٨٩، ط المدني، القاهرة د ت، وينظر: المسامرة شرح المسايرة، ص ١٧٠ . ١٧٣، ١٧٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة الإسراء، الآية (١٥) وكذلك شكر المنعم،وإثابة المطيع، وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل، ولا يجب على .تعالى. شيء ما بالعقل) [١] .

فالتكليف لا يصح بحال إلا بعد إنفاذ الرسل وإقامة الحجج، لذا جزموا بنجاة أهل الفترة ومن لم تبلغهم الدعوة وعدم مؤاخذتهم في الدنيا والآخرة، فذهبوا إلى أن أهل الفترة الذين كانوا بين أزمنة الرسل أو في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم ناجون وإن بدَّلوا وغيَّروا وعبدوا الأصنام [٢] ولن يدخلوا النار أصلاً .

يقول السيوطي: (وقد أطبق أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً، ...) [٣] .

الرأي الثاني: رأي المعتزلة ومو افقهم فيما تجب به معرفة :

وفي مقابل الأشاعرة ومن ارتضى رأيهم في الحسن والقبح ومعرفة .تعالى. قالت المعتزلة بأن المُحسِّن والمُقبِّح هو العقل لا الشرع .

ويجب معرفة .تعالى. بالعقل قبل ورود السمع، والحجة قد لزمت الثقلين قبل بعثة الرسل، لكن الثواب والعقاب لا يكون إلا بعد إرسال الأنبياء[*] .عليهم السلام..

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني، ج ١ ص ١٠١، ١٠٢، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، سنة ١٣٩٦هـ. ١٩٧٦م، والمسامرة بشرح المسايرة، لابن أبي شريف القدسي، ص ١٧١ . ١٧٤، ط مطبعة السعادة بمصر .

(٢) شرح البيجوري على الجوهرة، ص ٣٨، والمسامرة بشرح المسايرة، ص ١٧٩ .

(٣) الحاوي، للسيوطي، ج ٢ ص ٢٠٤ .

(*) فهم بعض العلماء من القدامى والمحدثين من أهل السنة وغيرهم أن المعتزلة يرون وقوع الثواب والعقاب بالعقل لقولهم بالحسن والقبح العقليين، ونحو هذا في كتاب المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، وشروحه، ص ١٩٢، والتحقيق أنهم لا يقولون بذلك كما سيذكر من كلامهم .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يقول القاضي عبد الجبار [١] (شارحاً قوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (يس: ٦) بيَّن تعالى أنه قبل بعثته الرسول كانت الحال حال فترة لم يبعث فيها الرسل، وإن كان التكليف قائماً) [٢] .أي بالعقل لأنهم يعتقدون أن العقل يدرك حسن الأفعال وقبحها[*]، ويستطيع الوصول إلى معرفة سبحانه . لأنه هاد مرشد، ويستقل بالحكم على الأشياء بالحسن والقبح .

والحجة قائمة على الناس بالعقل، يقول قاضيهم: (الإنذار إذا كان من قبل الرسول غير ممتنع أن ينذر قومه دون مَن تقدمهم إن لم يكن إرسال الرسول إليهم مصلحة لهم، فاقتصر بهم على ما كلفوه من جهة العقل، وإن لم ينذروا بالسمع للاستغناء عنه فلأن الحجة، قامت عليهم في سائر ما كلفوه بالعقل دونه) [٣] .

وذكر عدة ردود للرد على مخالفيهم في أفعال العباد، فذكر منها:

- أنه نبه بذلك على انه لا يعذبهم إلا بعد إزاحة العلة ببعثة الرسل، فإن لم يكن تصرفهم يقع من قبلهم لم يحتج إلى ذلك؛ لأن وجوده كعدمه .
- ومنها: أنه بيَّن أنه لا يعذبهم حتى يبعث إليهم رسولاً فبأن لا يعذبهم على ما لا يقدرون عليه أولى؛ لأنه إذا لم يعذب القادر العاقل على فعله من حيث لم يبعث إليه من يبين له الأمور

---

(١) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد آبادي، أبو الحسن، قاض أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، ويلقبونه بقاضي القضاة، ولي قضاء الري ومات فيها سنة ٤١٥هـ، من تصانيفه: تنزيه القرآن عن المطاعن، والأمالي، وشرح الأصول الخمسة. ينظر: تاريخ بغداد، ج ١١ ص ١١٣، والأعلام، ج ٤ ص ٤٧ .

(٢) متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار الهمداني، ص ٥٧٤ .

(*) وبنت المعتزلة على إثبات الحسن والقبح بالعقل وجوب أمور على الله . تعالى . كوجوب فعل الصلاح والأصلح للعباد، ووجوب اللطف ووجوب بعثة الرسل، ووجوب الثواب على الطاعة ووجوب العقاب بالمعصية إن مات مرتكبها بلا توبة، ووجوب العوض في إيلام الأطفال والبهائم، ووجوب الرزق، ووجوب التكليف بما يطاق ....

(٣) السابق عينه، ص ٥٧٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فبأن لا يعذب من لا يتمكن من الفعل أولى، فإن قال .أي المخالف .: فما المراد بذلك وعندكم أن المكلف بالتكليف العقلي يحسن تعذيبه وإن لم تبعث إليه الرسل؟ قيل له: إنَّ المراد به العذاب المؤجل في دار الدنيا، لأن عادة .تعالى .لم يجرها إلا بعد بعثة الرسل، ووقوع التكذيب منهم، وقد قيل: إنَّ المراد بذلك من المعلوم من حاله أن مصالحه موقوفة على شريعة الرسل؛ لأن مَن هذه حاله لا يجوز أن يخلى من رسول يبعث إليه، ولو لم يبعث إليه لم يحسن تعذيبه ..) [1] . فأبان بذلك أنه لا يصيبهم عقاب إلا بعد بعثة الرسل .

لكن قولهم: إنَّ المكلف بالتكليف العقلي يحسن تعذيبه وإن لم تبعث إليه الرسل باطل على قواعدهم، فإنهم يوجبون على .سبحانه .إرادة الخير، فكيف يخل بما يحسن فعله ؟

رأي الماتريدية في الحسن والقبح:

وكذا ذهب الماتريدية إلى أن الواجبات كلها عقلية والعقل يقتضي تحسيناً وتقبيحاً، ويمكن له معرفة ، والتكليف يصح بالعقل ،والذي استقر عليه رأي المتأخرين منهم أن هذا التحسين والتقبيح لا يستلزم مؤاخذة العبد في الدنيا ولا في الآخرة، لذا رأوا نجاة أهل الفترة وعدم مؤاخذتهم في الآخرة ،جاء في فواتح الرحموت: (الحسن والقبح (عندنا) معشر الماتريدية والصوفية من معظم أهل السنة والجماعة (وعند المعتزلة) عقلي لا يتوقف على الشرع لكن عندنا من متأخري الماتريدية (لا يستلزم) هذا الحسن والقبح (حكماً) من .سبحانه .في العبد، بل يصير موجباً في استحقاق الحكم من الحكيم الذي لا يرجح المرجوح، فالحاكم هو .تعالى .والكاشف هو الشرع، (فما لم يحكم .تعالى .بإرسال الرسل)، وإنزال الخطاب، (ليس هناك حكم أصلاً)، فلا يعاقب بترك الأحكام في زمان الفترة، ومن هاهنا اشترطنا بلوغ الدعوة غير مكلف الإيمان أيضاً، ولا يؤاخذ بكفره في الآخرة) [2] .

([1]) متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار، ص ٤٥٩ .

([2]) فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، لمحب الله بن عبد الشكور البهاري، الهندي، ج ١ ص ٢٥، ط المطبعة الأميرية بمصر، ط أولى سنة ١٣٢٢هـ، ومسلم الثبوت، لمحمد بن نظام الأنصاري، وينظر: تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي، ج ٣ ص ١٤١، ج ٣ ص ١٦، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، ن: مؤسسة الرسالة، ط أولى، سنة ١٣٩٥هـ. ١٩٧٥م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

من هذا يتبين أن الماتريدية توافق المعتزلة في حكمها على أهل الفترة إلا أن مذهبهم يخالف المعتزلة من وجوه:

أحدها: أن المعتزلة قد قرروا أن العقل يدرك الحسن أو القبح ولا يقضي في شيء بمقتضى ما أدركه بل ينتظر ورود الشرع بهذا القضاء، فالعقل .عند المعتزلة .حاكم وعند الماتريدية آلة للبيان وسبب للحكم.

الوجه الثاني: أن الماتريدية لم يقولوا بما قال به المعتزلة مما استلزمه كلامهم .

الوجه الثالث: أن العقل مدرك للحسن والقبح في جميع الأفعال عند المعتزلة وعند الماتريدية لا يدركهما في جميع الأفعال، وإنما يدركهما في بعضها دون بعض .

وبمذهب الماتريدية قالت الحنفية من الفقهاء .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

رأي الشيعة في الحسن والقبح:

وتأثرت الشيعة بالمعتزلة في أكثر الآراء الأصولية، ومنها مسألة الحسن والقبح فرأت أن الحسن والقبح جوهران ذاتيان في الأشياء، وليسا آتيين من قبل أمر ونهيه، وأن الحجة تقوم على الإنسان بالعقل لا بإنفاذ الرسل،لكن لا يحصل ثواب ولا عقاب إلا بعد إرسال الرسل .

فمعرفة .تعالى .عندهم تحصل وتجب بالعقل، والعقل يقتضي التحسين والتقبيح، فوجوب النظر والمعرفة عندهم في أصول العقائد وجوب عقلي قبل أن يكون وجوباً شرعياً، فلا يستقي علمه من النصوص الدينية وإن كان يصح أن يكون مؤيداً بها بعد دلالة العقل ،جاء في كتاب عقائد الإمامية[1]: (في الحقيقة إن الذي نعتقده أن عقولنا هي التي فرضت علينا النظر في الخلق ومعرفة خالق الكون ،ونعتقد أنه .تعالى .لا يكلف عباده إلا بعد إقامة الحجة عليهم، ولا يكلفهم إلا ما يسعهم وما يقدرون عليه وما يطيقونه، وما يعلمون، لأنه من الظلم تكليف العاجز والجاهل غير المقصر في التعليم) .

ويذهب الشيعة .كما يذهب المعتزلة .إلى أن أهل الفترة وإن كانت الحجة قائمة عليهم بالعقل إلا أنهم غير مكلفين ولا مؤاخذين في الدنيا ولا في الآخرة إلا ببعثة الرسل .عليهم السلام .،يقول المفسر الشيعي الكبير الطبرسي في تفسير قوله .تعالى : (﴿ ﴾ (الإسراء:١٥) معناه: وما كنا معذبين قوماً بعذاب الاستئصال إلا بعد الأعذار إليهم والإنذار لهم بأبلغ الوجوه، وهو إرسال الرسل إليهم مظاهرة في العدل، وإن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالعقل مؤجلاً، فعلى هذا التأويل تكون الآية عامة في العقليات والشرعيات، وقال الأكثرون من

([1]) عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، ص ٥٥، ص ٦٦، ن: دار الصفوة، بيروت، ط ٩، سنة ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م، وينظر: أصل الشيعة وأصولها، لمحمد حسين آل كاشف الغطاء، ص ٧٩، ن: دار مواقف عربية، لندن، ط أولى، سنة ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المفسرين .وهو الأصح : إنَّ المراد بالآية أنه لا يعذب .سبحانه .في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البعثة ...)[1].

التحقيق والترجيح:

ولكي يستبين السبيل الأمثل في هذه القضية يتعين علينا معرفة ماهية العقل ووظيفته وحدوده ومجالاته وعلاقته بالشرع .

(1) مجمع البيان في تفسير القرآن، لعلي الفضل بن الحسن الطبرسي، ج ٦ ص ٢٣١، ن: مؤسسة الأعلمي، بيروت، سنة ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م، وينظر أيضاً: من الكتاب السابق، ج ٣ ص ٢٤٣، و ج ٤ ص ١٦٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ماهية العقل وقدراته:

فالعقل آلة التفكير وأداة التمييز ووسيلة التكليف ومنبع الإدراك وسبب البيان ومفهم معنى الخبر،أكرم .تعالى. بها بني آدم، وفضلهم بها على سائر المخلوقات وحكم عليهم بموجب تعريفها ما لها وما عليها بالثواب والعقاب في الدارين .

والعقل مستوطن العلوم والإدراكات والحكم والمعنويات وآلة فهم الخطاب ومعرفة صدق الناقل، وفهم حسن ما ورد به الشرع،(والعقل شرط في معرفة العلوم، وفي الأعمال وصلاحها، وبه يكمل الدين والعمل، ولكنه لا يستقل بذلك؛ إذ هو غريزة في النفس وقوة فيها كقوة البصر، إن اتصل به نور الإيمان كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها،وإن أبعد بالكلية كانت الأقوال والأفعال أموراً حيوانية)[1] .

وإن أهمل المرء هذه الآلة، وتركها معطلة دون تعقل وتمييز وفقه وعمل أهلك نفسه وأهلك، قال .تعالى. :

سورة الأعراف،الآية (١٧٩) وقال:

سورة الأنفال،الآية (٢٢) وقال عن المشركين:

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ٣ ص ٣٣٨، ٣٣٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة الفرقان، الآية (٤٤) وقال عنهم أيضاً : سورة البقرة، الآية (١٧١) .

ولا ريب أن عقل الإنسان على قدره فيوصف بما يوصف به ويتأثر بما يؤثر فيه، لذا فإن أحكامه إجمالاً تتأثر بالبيئة والأعراف والتقاليد والعادات والوراثة .

ومن هنا فإنه يقع عليه الصحة والمرض والقوة والضعف واليقظة والغفلة وبداوة الرأي والتوسط والتفوق أو الذكاء؛ بل والطفولة والشباب والشيخوخة، كما يحدث بينها تفاوت من شخص لآخر .

وقد اختلف أهل العلم في ماهية العقل وحده ووظيفته ومجالاته، ولا يسع هذا البحث الوجيز استقصاء هذه المسائل[*] لأنها ليست من شرطه وحده، لكن يكفيه أن يلمح إلى أنَّ الإسلام اهتم بالعقل اهتماماً بالغاً فجعله مناط التكليف، فإذا فقِد ارتفع التكليف، وعدَّ فاقده كالبهيمة لا تكليف عليه، بل جعله الإسلام أحد الضروريات التي أمر الشارع بحفظها ورعايتها، لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها [١] .

والعقول البشرية تعتريها كثير من الآفات التي تبعدها عن الطريق المستقيم، فمن ذلك: تغلب الأهواء والشهوات التي تصرفها عن النافع وتدفعها إلى الضار .

---

[*] للمزيد عن هذه القضايا: يراجع: :الإنسان والعقل، د/ نايف معروف، ن: سبيل الرشاد، بيروت، ط أولى، سنة ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م، وموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين صادق الأمين، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين، جامعة أم القرى، ن: مكتبة الرشد، الرياض، ط أولى، سنة ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م، ومنهاج الاستدلال في مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي، ن: مكتبة الرشد، الرياض، ط ٣، سنة ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م، وتأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص ١٤ . ٢٠، وموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، لابن تيمية، وله أيضاً: درء تعارض العقل والنقل، وأعلام الموقعين، لابن القيم ١/ ٦٨، ٦٩، والإسلام والعقل، للدكتور/ عبد الحليم محمود، ن: دار الكتب الحديثة، القاهرة د ت، وتصانيف الفلسفة وعلم الكلام والمذاهب الكلامية وأصول الفقه بها الكثير عن هذه القضايا .

[١] الموافقات في أصول الفقه، للشاطبي ٣/ ١٣، ٨٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومنها: اختلاف المدارك والميول، فإنها إن خلصت من أسر الشهوات أو غلبة الهوى أو تسلط الغضب والحسد فقد لا تسلم من غوائل الخلاف والنزاع، لاختلاف المدارك والمشارب في أصل الفطرة والجبلة، فترى الإنسان يستحسن عين ما يستقبحه غيره، بل الإنسان الواحد قد يظهر له الشيء حسناً في وقت، فإذا لم يلائم غرضه في وقت آخر عده قبيحاً، وكثيراً ما يكون الشيء الواحد مشتملاً على مصلحة ومفسدة، فيحب إنسان جلب مصلحته، فيبادر إليهن ويميل آخر إلى درء مفسدة فيفر منه [1].

لذا حذر الإسلام العقول من اتباع الهوى والميل عن الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿ ﴾
سورة ص، الآية (٢٦)

وقال عن المشركين:

﴿ ﴾
سورة النجم،الآية (٢٣)

وقال: ﴿ ﴾
سورة الغاشية، الآية (٢٣).

وقضى الإسلام بتآخي الشرع والنقل وعدم تعارضهما لأنهما من .تعالى .وحجج تتعاضد ولا تتعارض، وإذا قطع العقل أو النقل باستحالة شيء ما، فإنه عائد إلى ضعف في النقل أو مرض في العقل، فإن صريح المعقول يوافق صحيح المنقول، ولم يوجد في دين ما خالف المعقول أو ضاد الأصول، فلا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للعقول، ولا يتخيل أن يشمل العقل على قاطع مخالف لصحيح المنقول.

(1) هداية المرشدين، للشيخ/ على محفوظ، ص ١٨، ١٩ بتصرف .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

واللبيب الأريب من لفق بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول، وتحقق أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول، وعرف أن من ظن من الواقفين عند ظواهر النصوص . النصوصيين . وبعض الصوفية، واللا أدرية[*] وجوب الجمود على التقليد واتباع الظواهر، ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر، (وأن من تغلغل من غلاة الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل، حتى صادموا به قواطع الشرع، ما أتوا به إلا من ضلال الضمائر فميل أولئك إلى التفريط، وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط، بل الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد: ملازمة الاقتصاد، والاعتماد على الصراط المستقيم، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، دون مناهج البحث والنظر، أو لا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر | وبرهان العقل هو الذي عرَّف به وصدقه فيما أخبر ؟! وكيف يهتدي للصواب من ترك محضن العقل واقتصر ؟ وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر ؟! فليت شعري! كيف يفزع إلى العقل من حيث يعتريه العي والحصر ؟! أو لا يعلم أن خطو العقل قاصر، وأن مجاله ضيق منحصر ؟! هيهات. قد خاب على القطع والبتات، وتعثر بأذيال الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات، فمثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء المستغني إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء! فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان! فلا فرق بينه وبين العميان! فالعقل مع الشرع نور على نور !!) [1] .

وبهذا فقد ضل في معرفة حد العقل وقدره فريقان:

- فريق مجدوا العقل وقدسوه، حتى جعلوه حاكماً لا محكوماً ومتبوعاً لا تابعاً، ومُشرِّعاً لا مدركاً متدبراً للشرع، كبعض الفلاسفة وطوائف من أهل الاعتزال .

---

[*] اللا أدرية: نزعة فلسفية ترمز إلى إنكار قيمة العقل، وقدرته على المعرفة، وعدَّها بعض مفكري العرب إحدى فرق السوفسطائية الثلاث: وهي العنادية، والعندرية، واللا أدرية. ينظر: المعجم الوجيز، عمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة: درى، ص ٢٢٧، سنة ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م .

[1] الاقتصاد في الاعتقاد، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، ص ٢، ٣ بتصرف، ط صبيح د ت .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

- وفرق أهملوه وذموه وأنكروه، كبعض السالكين الذين خافوا من تأثير الهوى عليه، فبالغوا في البعد عن الهوى بالتخفيف من شأن العقل وكالخوارج الذين يدينون بظواهر النصوص ويضلون عند المتشابهات، ولا يردون المتشابهات إلى المحكمات .

ولسنا مع هؤلاء ولا أولئك، فالأمر بين الأمرين والعدل والحق الوسط بين الرأيين و ذلك بإعمال النقل والعقل، وإعطاء كل منهما حقه ومستحقه .

فإنهما يتآلفان ولا يتناقضان، ويجتمعان ولا يفترقان، ويتكاملان ولا يتعارضان، ويتعاضدان ولا يتنازعان، وإذا اجتمعا تأكد الأمر وزال الريب فيما يلزم العبد .

وإذا قام كل من العقل والشرع بدوره وسار في طريقه وأعطي حقه، لم يكن هناك قصور في فقه الوحي الإلهي والعمل به، (إذن ما هي وظيفة هذا العقل البشري، وما هو دوره في قضية الإيمان والهدي، وفي قضية منهاج الحياة ونظامها؟

إنَّ دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسالة، ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول، ومهمة الرسول أن يبلغ ويبين، ويستنقذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام، وينبه العقل الإنساني إلى تدبر دلائل وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق؛ وأن يرسم له منهج التلقي الصحيح، ومنهج النظر الصحيح، وأن يقيم له القاعدة التي ينهض عليها منهج الحياة العملية، المؤدي إلى خير الدنيا والآخرة .

وليس دور العقل أن يكون حاكماً على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان، والقبول أو الرفض .

إنَّ هذه الرسالة تخاطب العقل بمعنى أنها توقظه، وتوجهه، وتقيم له منهج النظر الصحيح لا بمعنى أنه هو الذي يحكم بصحتها أو بطلانها، وبقبولها أو رفضها، ومتى ثبت النص كان هو الحكم؛ وكان على العقل البشري أن يقبله ويطيعه وينفذه؛ سواء كان مدلوله مألوفاً له أو غريباً عليه)[1]،فأرسل .تعالى .رسله ليقطع بهم أعذار الجاحدين، وليرشد بهم العقول إلى الحق بغير نصب،

(1) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ٨٠٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وليفطنوها إلى دقائق الأنظار التي لا تهتدي العقول إليها . (فبعثة الأنبياء إلى الناس من الضروريات التي لابد لهم منها، وذلك أن جل الناس يقصر عن معرفة منافعهم ومضارهم الأخروية جزئياتها وكلياتها، وبعضهم وإن كان لهم سبيل إلى معرفة كليات ذلك على سبيل الجملة فليس لهم سبيل إلى معرفة جزئياتها، ولا يمكن أن يعرفوا كيف يجب؟ ولا في أي وقت يجب؟، وكم يجب؟، فلما كان ذلك كذلك مَنَّ .تعالى .على كافة عباده، خاصهم وعامهم برسل بعثهم فيهم من أنفسهم يتلون عليهم آياته ويزكونهم ...) [1] .

بل حتى بعد مجيء الشرائع وظهور الآيات السافرات تتعدد ميول الناس ومدى استجابتهم لهذا الحق الأبلج، فمنهم من يهتدون بمجرد إعلان الحق، ومنهم من ينتظرون التبين والإفهام، ومنهم من يتباطئون في المسارعة إلى الإيمان، ومنهم من لا يقنعون إلا بالبرهان الملزم، ومنهم من لا يطيعون إلا بالترهيب والترغيب، وأكثرهم يضلون عن سبيل ، فإذا كان هذا حالهم بعد بعث النبيين مبشرين ومنذرين، فكيف يكون خطبهم عند فترة الرسل .

بل إنَّ الناس محتاجون إلى الشرع أيضاً في أمورهم الدنيوية المعيشية،(فلولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش، فمن أعظم نعم على عباده،وأشرف مننه عليهم أن أرسل إليهم رسله،وأنزل عليهم كتبه،وبين لهم الصراط المستقيم،ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل شر حال منها،فمن قبل رسالة واستقام عليها فهو من خير البرية،ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية) [2] .

وإذا كان العقل عاجزاً عن تحصيل تفاصيل النافع والضار في أمر المعاش فمن باب أولى يعجز عن تحصيل المنافع والمضار في أمر المعاد .

وقد أمر .تعالى .نبيه باتباع الوحي،ولم يأمره باتباع العقل، فقال: ↓

---

(1) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ص ٢٠٤، تحقيق: د/ أبو اليزيد العجمي، ن: دار الصحوة بالقاهرة، ط أولى، سنة ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م .

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ١٩ ص ١٠٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة الأنعام، الآية (١٠٦)،

وأمر أمته باتباع الشرع ولم يأمرهم باتباع العقل أيضاً، فقال:

سورة الأعراف، الآية (٣) .

وعدم إرسال الرسل يمكن أن يكون حجة للناس يوم القيامة إذا أراد أن يؤاخذهم ويعذبهم على ترك الهدى الذي جاءهم به أولئك الرسل والمتبادر من آية سورة الإسراء أنه ليس من سنة أن يعذب الأمم التعذيب السماوي الذي عبر عنه بقوله:

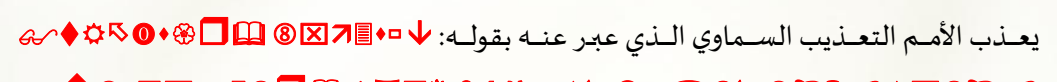
سورة طه، الآية (١٣٤) .

---

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ٦/ ٧٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الرد على المعتزلة في قولهم بالحسن والقبح:

ونحن لا نوافق المعتزلة على قولهم بإثبات الحسن والقبح بالعقل دون الشرع لأمور:

أحدها: بعض الأشياء لا يدرك العقل حسنها أو قبحها كما ورد عن المعتزلة أنفسهم، يقول قاضيهم: (وكل عاقل يعلم بكمال عقله قبح كثير من الآلام، كالظلم الصريح وغيره، وحسن كثير منها كذم المستحق للذم وما يجري مجراه)[1] .

فأثبت أن بعض الأشياء لا يعلم العاقل حسنها أو قبحها .

ثمَّ إنَّ ما ذكره من قبح كثير من الآلام يُنقض بأنه قبيح في الظاهر والشكل لا في الحقيقة والجوهر فإنَّ من عباد من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغناه لفسد حاله، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقره لفسد حاله، ومن عباد من لا يصلحه إلا المرض ولو أصحه لفسد حاله، ومن عباد من لا يصلحه إلا الصحة ولو أمرضه لفسد حاله ، فالابتلاآت خير للعبد مآلا.

والآلام والمصائب كائنة بفعل .تعالى ..، وأفعاله .تعالى .الخالصة له، حقيق بأن تخرج عن الحسن والقبح العقليين، لقصور العقل البشري عن معرفة أفعال البشر، فقصوره عن معرفة كنه أفعاله وحكمها وحدودها وأسرارها من باب أولى.

ولو أن العبد نظر إلى ظواهر هذه الآلام ولم يفكر في باطن أمرها وعظم ثمرتها في الآجل وسر وقوعها، لاتهم ربه .سبحانه .بسائر النقائص .

ولا يقال هنا بوجوب الصلاح والأصلح .كما يرى المعتزلة .وإنما نقول: إن هذا هو المعلوم قطعاً من عدل .تعالى .، ف .تعالى .لا يجب عليه شيء، وهو .سبحانه .خالق العباد، وخالق أعمالهم، وخلق الثواب والعقاب عليها، وأثر في وقوعها، وهيأ الأجواء والظروف كما في سابق علمه ومشيئته، وأعطى العبد حرية الاختيار في أفعاله التكليفية ولم يجبره على شيء منها .

---

(1) شرح الأصول الخمسة، ص ٤٨٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثانيها: وقولهم: معرفة لا تنال إلى بحجة العقل، قلب للحق على مقتضى العقل، لأن ﷻ بصفاته وأفعاله لا يمكن للعقل الوصول إلى العلم به إلا على وجه الإجمال وإن كان الإنسان مفطوراً على الإيمان ب والإقرار له بالربوبية، ولكن هذا الإقرار لا يعطي الإنسان علماً وافياً عن ﷻ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الوصول إلى معرفة على التفصيل إلا منه. جل وعلا. وذلك بطريق الوحي)[1].

فالعقل عاجز عن إدراك الصورة الجامعة المانعة لذلك،والعقول كبيرها وصغيرها لا تستقل بالإحاطة بهذه القضية (وخطأ وضلال . إن لم يكن هو الخداع والتضليل . كل زعم يقول:إنَّ العقول الكبيرة كانت حَرِيّة أن تبلغ بدون الرسالة ما بلغته بالرسالة،فالعقل ينضبط . مع الرسالة . بمنهج النظر الصحيح، فإذا أخطأ بعد ذلك في التطبيق كان خطؤه كخطأ الساعة التي تضبط، ثمَّ تغلبها عوامل الجو والمؤثرات، وطبيعة معدنها الذي يتأثر بهذه المؤثرات، لا كخطأ الساعة التي لم تضبط أصلاً، وتركت للفوضى والمصادفة، وشتان وشتان، وآية أن ما يتم بالرسالة. عن طريق العقل نفسه. لا يمكن أن يتم بغيرها، فلا يغني العقل البشري عنها أن تاريخ البشرية لم يسجل أن عقلاً واحداً من العقول الكبيرة النادرة اهتدى إلى مثل ما اهتديت إليه العقول العادية المتوسطة بالرسالة .. لا في تصور اعتقادي، ولا في خلق نفسي، ولا في نظام حياة، ولا في تشريع واحد لهذا النظام .

إنَّ عقول أفلاطون وأرسطو من العقول الكبيرة قطعاً .. بل إنهم يقولون: إنَّ عقل أرسطو هو أكبر عقل عرفته البشرية . بعيداً عن رسالة وهداه . فإذا نحن راجعنا تصوره لإلهه . كما وصفه . رأينا المسافة الهائلة التي تفصله عن تصور المسلم العادي لإلهه مهتدياً بهدي الرسالة .

وفي الخلق نجد في الفترة التي هيمن فيها الإسلام في صدر الإسلام نماذج للأوساط ممن رباهم الرسول | لا تتطاول إليها أعناق الأفذاذ على مدار التاريخ ممن لم تخرجهم رسالة سماوية، وفي المبادئ والنظم والتشريعات لا نجد أبداً ذلك التناسق والتوازن، مع السمو والرفعة التي نجدها في نظام

([1]) مقدمة كتاب: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ليحيى بن أبي الخير العمراني، ت ٥٥٨هـ، ت: د/ سعود بن عبد العزيز الخلف، ن: أضواء السلف بالرياض، ط أولى، سنة ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الإسلام ومبادئه وتشريعاته، ولا نجد أبداً ذلك المجتمع الذي أنشأه الإسلام يتكرر لا في زمانه ولا قبل زمانه ولا بعد زمانه في أرض أخرى، بتوازنه وتناسقه ويسر حياته وتناغمها [1] .

ثمَّ هل هناك عقول أكبر من عقول الأنبياء .عليهم السلام .ومع هذا لم يدركوا طرق الهدى بالعقل، ولم يقدروا أن يعرفوا ما يصح به مسمى الإسلام، قال .تعالى .عن خير خلقه وسيد رسله : [illegible] [*] سـورة الضحى، الآية (٧) .

وقال .جل شأنه : [illegible] سورة الشورى ، الآية (٥٢) .

وثالثها: (نرد على المعتزلة أيضاً في قولهم بثبوت التكليف بالعقل بأنهم ذكروا أدلة لا يصح التكليف إلا مع نصبها ... فقالوا: اعلم أن المكلف لابد من أن يكون عالماً بما كلف على جملة أو تفصيل ليميزه من غيره وإلا لم يحسن تكليفه فصار تعريفه ما كلف بمنزلة الإقدام عليه والتمكين منه في أنه لابد منه وإلا قبح التكليف) [2] .

ومعلوم أن أدلة نصب التكليف لم تتحقق لأهل الفترة، على وجه الإجمال ولا على وجه التفصيل، ولم يعلموا بما كلفوا، بل و لم يُعلم ما كلفوا به فلم يقع التكليف .

([1]) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ٨١١، ٨١٢ باختصار .

[*] قلت: ذهب بعض المفسرين إلى حمل الضلال في آية الضحى على الضلال المادي فقالوا: ضل شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل: ضل مع عمه في طريق الشام. تفسير ابن كثير ٤/ ٧٦٥ .

([2]) متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار، ص ٨١٧ .

www.sadah.net
٢:٥٦ م

رابعها: ويُرد عليهم أيضاً بأنهم قرروا بأن المكلف لابد أن يكون مُزاح العلة، وإزاحة العلة لا يكون إلا بأمر زائد على التخلية [1]. أي يخلى بينه وبين ما كلف..

ولم تُزح العلة عن أهل الفترة ولا انقطعت عنهم علقة الاعتذار.

خامسها: كما يرد عليهم بأنهم قالوا: لا يجوز أن يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم واستدلوا على ذلك من الكتاب بقوله تعالى: ﴿ ﴾ سورة الإسراء، الآية (١٥) قالوا:ومعلوم أن الأطفال لم تبعث إليهم الرسل فيجب أن لا يعذبهم [2] فيقال لهم: فأهل الفترة لم تبعث إليهم الرسل فالأجدر به أن لا يعذبهم، وإلا لماذا أوجبتم نفي تعذيب أطفال المشركين ولم توجبوا نفي تعذيب أرباب الفترة.

سادسها: ثم لو نظرنا قبل مجيء الشرع في شكره .تعالى .على إنعامه علينا، لكان العقل يقتضي عندهم، أن شكره .تعالى .واجب من غير أن يتوقف في ذلك على مجيء المشرع، لأن معرفته .تعالى .ومعرفة كونه منعماً يدركهما العقل بدون الشرع، وكذلك يدرك بدونه حسن شكر المنعم وقبح كفرانه، فيدرك إذاً وجوب الشكر، وتحريم الكفران بدون الشرع، فيقال لهم: هذا الشكر لو وجب قبل الشرع لكان له فائدة، إذ لا فائدة له ليس بحسن حتى يجب، لكن ثبوت الفائدة قبل مجيء الشرع باطل؛ لأن الفائدة فيه إما أن ترجع إلى العبد الشاكر أو إلى الرب المشكور، وعودها إلى العبد إما في العاجل أو في الآجل، فلأنه إنما يحصل له في العاجل التعب فقط، وأما بطلان عودها إليه آجلاً، فلأن العقل لا مجال إليه قبل مجيء الشرع في شيء من أمور الآخرة إجماعاً، وأما بطلان رجوعها إلى الرب .تعالى .فلتعاليه ﷻ عن أن يتجدد له كمال، بل هو بذاته الغني عن الخلق وأعمالهم، فهذا الوجه من

---

(١) السابق، ص ٥٧٣ بتصرف.

(٢) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ص ٤٨٨.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

النظر العقلي يدفع وجوب الشكر، ويعارض الوجه الذي أوجبه عندهم، وهو إدراك كونه .تعالى . منعماً [١].

سابعها: لو اتصف الفعل بالحسن والقبح لذاته، أو لصفة لازمة لما كلف .تعالى .الكافر بالإيمان، والتالي باطل بالإجماع، وبيان الملازمة: أنه .تعالى .علم أن الكافر لا يؤمن فتكليفه بالإيمان تكليف بمستحيل، وهو قبيح عندهم .

وأيضاً: لو كان الفعل حسناً أو قبيحاً لذاته، أو لصفة لازمة لما اختلف أن يكون تارة حسناً وتارة قبيحاً،ولاجتمع النقيضان في قول القائل: لأكذبن غداً،صدق أو كذب [٢].

(ولو كان .سبحانه .وهو أعلم بالإنسان وطاقاته كلها،يعلم أن العقل البشري .الذي وهبه للإنسان .هو حسب هذا الإنسان في بلوغ الهدي لنفسه والمصلحة لحياته في دنياه وأخرته،لوكله إلى هذا العقل وحده،يبحث عن دلائل الهدي وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق،ويرسم لنفسه كذلك المنهج الذي تقوم عليه حياته، فتستقيم على الحق والصواب، ولا أرسل الرسل على مدى التاريخ، ولما جعل حجته على عباده هي رسالة الرسل إليهم، وتبليغهم عن ربهم،ولما جعل حجة الناس عنده . سبحانه .هي عدم مجيء الرسل إليهم

سورة النساء،الآية (١٦٥)، ولكن لما علم .سبحانه .أن العقل الذي آتاه للإنسان أداة قاصرة بذاتها عن الوصول إلى الهدي، بغير توجيه من الرسالة وعون وضبط، وقاصرة كذلك عن رسم منهج للحياة الإنسانية يحقق المصلحة الصحيحة لهذه الحياة، وينجي صاحبه من سوء المآل في الدنيا والآخرة .. لما علم .سبحانه .هذا شاءت حكمته وشاءت رحمته أن يبعث للناس الرسل، وألا يؤاخذ الناس إلا بعد الرسالة والتبليغ

---

(١) معالم الدين، لعبد العزيز الثميني المصعبي، ج ١ ص ٢٩١، ٢٩٢، ن: وزارة التراث القومي بسلطنة عمان، سنة ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .

(٢) شرح السنوسية الكبرى، لأبي عبد الله السنوسي، ص ٣٤٩ باختصار، ومعالم الدين، لعبد العزيز المصعبي الإباضي ١/ ٢٩٠، ٢٩١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net
٢:٥٦ م

سورة الإسراء، الآية (١٥) وهذه تكاد تكون إحدى البديهيات التي تبرز هذا النص القرآني، فإن لم تكن بديهية فهي إحدى المقتضيات الحتمية)[١] .

ثامنها: أن خلق العقول وأعطاها قوة الفكر وجعل لها حداً تقف عنده من حيث هي مفكرة لا من حيث هي قابلة للوهب الإلهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها، ووفت النظر حقه أصابت بإذن ، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها، ووراء حدها الذي حده لها ركبت متن عمياء وخبطت خبط عشواء، فلم يثبت لها قدم، ولم ترتكز على أمر تطمئن إليه، فإنَّ معرفة .تعالى .وراء طورها، مما لا تستقل العقول بإدراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات، وإنما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة فهو اختصاص إلهي يختص به الأنبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة .

ومما يوضح ذلك أن العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وإنزال الكتب، واللازم باطل بالنص، قال .تعالى .: سورة الإسراء، الآية (١٥) فكذا الملزوم[٢] .

تاسعها: العقل عاجز عن إدراك كثير من الحقائق الكونية، بل عاجز عن إدراك أمور كثيرة تعمل فيه، فلا يدري جوهر الروح ولا طريقة سريانها فيه، ولا يدري الأنظمة المعقدة والخفية لأعضائه، فمعرفة الخالق أولى وأدق من أن يبلغها عقل دون شرع .

وقد فهم الخلق بعض أحكام معيشتهم، وضربوا لها أمثالاً، ورتبوا لها أحوالاً ونظموا لها أنظمة، ووضعوا لها قواعد، وبلغوا في أوجه تطويرها شأواً لا بأس به، لكنهم عجزوا غاية العجز عن

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب،ج ٢ ص ٨٠٦ عند تفسير سورة النساء، آية: ١٦٥، ط دار الشروق، القاهرة، ط ١٧ سنة ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م .

(٢) لوامع الأنوار البهية، ج ١ ص ١٠٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الوصول إلى جزء من ذلك في التكاليف الشرعية والأحكام التكليفية والمبادئ الأخلاقية ناهيك عن الأصول الإيمانية .

فمحال أن يدرك العقل طريق الهدي دون الرسول المرشد .

يقول ابن القيم:

وطلبتم أمراً محالاً وهو إدراك ... الهدى لا تبتغون رسولاً
وزعمتم أن العقول كفيلة بالحق ... أين العقل كان كفيلاً
وهو الذي يفضي فينفض حكمه ... عقل ترون كليهما معقولاً
وتراه يجزم بالقضاء وبعد ذا ... يلقى لديه باطلاً معلولاً
لا يستقل العقل دون هداية ... بالوحي تأصيلاً ولا تفصيلا
فإذا النبوة لم ينلك ضياؤها ... فالعقل لا يهديك قط سبيلاً
نور النبوة مثل نور الشمس ... للعين البصيرة فأتخذه دليلاً
طرق الهدى محدودة إلا على ... من أمَّ هذا الوحي والتنزيلا
فإنَّ عدلت عن الطريق تعمداً ... فاعلم بأنك ما أردت وصولاً
يا طالبا درك الهدى بالعقل ... دون النقل لن تلق لذلك دليلا
كم رام قبلك ذاك من متلذذ ... حيران عاش مدى الزمان جهولاً
مازالت الشبهات تغزو قلبه ... حتى تشحَّط بينهن قتيلاً [1]

فهذا القول منهم قلب للحقائق على مقتضى العقل، لأن ﷻ بصفاته وأفعاله لا يمكن للعقل الوصول إلى العلم به إلا على وجه الإجمال، وإن كان الإنسان مفطوراً على الإيمان ب والإقرار له بالربوبية، ولكن هذا الإقرار لا يعطي الإنسان علماً وافياً عن ﷻ، إذ لا يمكن. بأي حال من الأحوال. الوصول إلى معرفة . تعالى. على التفصيل إلا منه. تعالى .

(1) ينظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، ج ٣ ص ٩٧٨ - ٩٨٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عاشرها: منحه .تعالى. الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته:

أولها: هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري، وتكون للأطفال منذ ولادتهم .

الثانية: هداية الحواس والمشاعر، وهي متممة للهداية الأولى في الحياة الحيوانية ويشارك الإنسان فيها الحيوان الأعجم .

الثالثة: هداية العقل، فقد خُلق الإنسان ليعيش مجتمعاً ولم يعط من الإلهام والوجدان ما يكفي مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية ... فحباه هداية هي أعلى من هداية الحسن والإلهام وهي هداية العقل الذي يصحح خطأ الحواس والمشاعر .

الرابعة: هداية الدين لأن العقل يغلط في إدراكه كما تغلط الحواس وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية والنوعية، ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال، فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتى تُورده مورد الهلكة، فإذا وقعت المشاعر في مزالق الذلل واسترقت الحظوظ والأهواء العقل، فصار يستنبط لها ضروب الحيل، فكيف يتسنى للإنسان مع ذلك أن يعيش سعيداً؟ وهذه الحظوظ والأهواء ليس لها حد يقف الإنسان عنده، وما هو بعائش وحده، وكثيراً ما تتطاول به إلى ما في يد غيره فهي لهذا تقضي أن يعدو بعض أفراده على بعض، فيتنازعون ويتدافعون ويتجادلون، ويتجالدون، ويتواثبون ويتناهبون حتى يفنى بعضهم بعضاً ولا تغني عنهم تلك الهدايات شيئاً، فاحتاجوا إلى هداية ترشدهم في ظلمات أهوائهم، إذا هي غلبت على عقولهم، وبين لهم حدود أعمالهم ليقفوا عندهم، ويكفوا أيديهم عما وراءها .

ثم إن مما أودع في غرائز الإنسان الشعور بسلطة غيبية متسلطة على الأكوان، ينسب إليها كل ما لا يعرف له سبباً، لأنها هي الواهبة كل موجود ما به قوام وجوده، وبأن له حياة وراء هذه الحياة المحدودة، فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايات الثلاث إلى تحديد ما يجب عليه لصاحب تلك السلطة؟، لا إنه في أشد الحاجة إلى هذه الهداية الرابعة. الدين. وقد منحه .تعالى. إياها [1] .

---

(1) الأعمال الكاملة، للأستاذ الإمام محمد عبده، ج ٤ ص ٤٠، ٤١ .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حادي عشرها: كما أنَّ ما يجزم العقل بقبحه لا يستلزم القبح المطلق له في كلياته وجزئياته جميعها، فكل عاقل يقطع بقبح الكذب وحسن الصدق لكن هذا الحكم قاصر فإن الكذب يحسن أحياناً، والصدق يقبح تارة، والغيبة قبيحة إلا أنها ترخص في مواضع .. والسرقة ممنوعة عقلاً إلا أن للزوجة أن تأخذ ما يكفيها وولدها بالمعروف من مال زوجه الشحيح ... وهكذا بل وأقرت فرقة من المعتزلة بأن العقل يحسن ويقبح لاعتبار كضرب اليتيم يحسن إن كان للتأديب، ويقبح إن كان لغيره .

ثاني عشرها: (العقول وإن كانت تقف على حسن بعض الأمور، وقبحها في الجملة فهي قاصرة عن اكتساب المعقولات بأسرها عاجزة عن الاهتداء إلى المصلحة الكلية الشاملة لنوع الإنسان تفصيلاً، فوجب من حيث الحكمة أن يكون بين الناس شرع يحملهم على الإيمان بالغيب جملة ويهديهم إلى مصالح معاشهم ومعادهم تفصيلاً، فيحملهم على التوجه إلى الخير المحض والإعراض عن الشر المحض استبقاءً لنوعهم واستدامة لنظام العالم) [1] .

(فلا يمكن للعقول البشرية وحدها أن تستقل بإدراك المصالح الدنيوية فضلاً عن الأخروية، ولا تهتدي وحدها إلى تمييز الخير من الشر، والمعروف من المنكر، وليس من غرائزها الوقوف على حقائق الأمور، ولا أن تدبر شؤونها على نظام محكم عادل لا حلل فيه ولا انحراف، فإنها .وإن وصلت إلى الغاية القوى من الإدراك .قد تميل عن الحق إلى الباطل، وتنحرف عن الصلاح إلى الفساد، ويخفى عليها وجه المصلحة، ولا تهتدي إلى مغبة الأعمال، وكثيراً ما يبدو لها الشر في لباس الخير فتقع فيه، وكثيراً ما ظهر لها الخير في صورة الشر فأعرضت عنه) [2] .

ثالث عشرها: ثم إنَّ المعتزلة وإن اتفقت على وجوب معرفة .تعالى .بالعقل، وعدم مؤاخذته إلا بإنفاذ الرسل، إلا أن فرقها اختلفت في تحديد العاقل الذي يستقل عقله بإدراك الأحكام، ووجوب المحاسبة بالنظر العقلي، فمنهم من بقى على رأي جمهور الفرقة، ومنهم من بالغ في الأخذ بذلك، ومنهم من خفف من حدة رأي الطائفة الأم .

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، ج ٢ ص ٥٦، ١١٧، ١١٨ .

(٢) هداية المرشدين، للشيخ/ علي محفوظ، ص ١٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فذهبت فرقة المردارية [١] إلى أن العقل يوجب معرفة .تعالى .بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع، وعليه يعلم أنه .أي المكلف .إن قصر ولم يعرفه .تعالى ،. ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة، فأثبتوا تخليد أهل الفترة في النار .

ورأت الهذيلية [٢] وجوب معرفة .تعالى .بالدليل من غير خاطر، وإن قصر .المكلف .في المعرفة استوجب العقوبة أبداً.

والنظامية [٣] قالت في المكلف قبل ورود السمع: إنه إذا كان عاقلاً متمكناً من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري بالنظر والاستدلال .. ولزوم تحسين العقل في جميع ما يتصرف فيه من أفعال، وهنا لابد من خاطرين: أحدهما: يأمر بالإقدام، والآخر: بالكف ليصح الاختيار يعني مغالبة داعي العقل لداعي الهوى .

ويتوجه على آراء هذه الفرق الثلاث أمران:

---

(١) إحدى فرق معتزلة بغداد، تنسب إلى عيسى بن صبيح الملقب بالمردار وقيل: ابن المردار، من آرائها: الزعم بأن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وبما هو أفصح منه .كذب أعداء الله ،. ومنها، تكفير من لابس السلطان، ومنها: الزعم بأن الله قادر على أن يظلم ويكذب، ومنها: زعمهم بأن من زعم رؤية الله . تعالى . بالأبصار بلا كيف فهو كافر .. ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ج ١ ص ٦٨، والفرق بين الفرق، ص ١٧٨ . ١٨٠، والتبصير في الدين، ص ٤٧، وخطط المقريزي ٢/ ٣٤٧ .

(٢) إحدى فرق معتزلة البصرة تنسب إلى أبي الهذيل محمد بن الهذيل الملقب بالعلاَّف (ت ٢٣٥هـ)، من آرائهم: القول بفناء مقدورات الله ﷻ، والقول بأن أهل الجنة والنار مضطرون إلى ما يكون منهم، والقول بطاعات كثيرة لا يُراد بها الله ﷻ، والقول === === بأن علم الله هو الله، وتقسيم كلام الله إلى ما يحتاج إلى محل، وإلى ما لا يحتاج إلى محل، والزعم بأن الحجة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء . عليهم السلام . وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفساً، فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر. ينظر: الفرق بين الفرق، ص ١٣٨ . ١٤٦، والتبصير في الدين، ص ٤٢، والملل والنحل، ج ١ ص ٤٩ .

(٣) النظامية: هم أتباع النظام أبي إسحاق إبراهيم بن سيار، من مبادئهم: أن الشرور ليست مقدورة لله . تعالى ،. وأن الأجسام متحركة دائماً، وأن العالم خلق دفعة واحدة، وقالوا بحرية في الإنسان وسيطرته على أعماله، وأنكروا سائر المعجزات، وقالوا: الإجماع والقياس والخبر المتواتر ليس بحجة، ومالوا إلى الرفض. ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ١٤٧ . ١٦٥،والتبصير في الدين، للإسفرائيني، ص ٤٣، والملل والنحل، للشهرستاني، ج ١ ص ٥٣، والمنية والأمل، للقاضي عبد الجبار، ص ٥٢ .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أحدها: لا يتصور العاقل أن العقل وحده قبل ورود الشرع قادر على معرفة .تعالى .بجميع صفاته وأحكامه كما قالت المردارية، وإلا فأرونا عاقلاً واحداً أصاب هذا كما قلتم قبل مجيء الرسل . عليهم السلام..

ثانيها: أنه لا يصح تقدم المعرفة على الخاطر أو كينونتها بدونه، فإن بداية كل سلوك وفكر خاطر، فكيف تجب معرفة .تعالى.مع عدم الداعي البين من ناحية، وغياب الخاطر من ناحية أخرى؟ وأين ما دعوه من وجوب اللطف عليه .سبحانه .؟ وكيف يستقيم هذا مع الأصل الثاني عندهم أصل العدل .

وفي الجانب الآخر للفرق السابقة مالت فرق أخرى إلى النظر إلى الأعذار، فحكمت الجاحظية بأن الخلق كلهم من العقلاء عالمون بأن .تعالى .خالقهم، وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي، وهم محجوجون بمعرفتهم، ثمَّ هم صنفان: عالم بالتوحيد، وجاهل به فالجاهل معذور، والعالم محجوج، وبمثل هذا قالت الثمامية فجزمت بأن من الكفار من لا يعلم خالقه وهو معذور [1] .

وهؤلاء يقال لهم:من أين علم العقلاء أنهم محتاجون لنبي؟وكيف عرف بعضهم التوحيد ولم يعرف البعض الآخر؟وأي توحيد عرفوه؟ولماذا لم يمنحهم العدل.سبحانه.ما احتاجوا إليه على وجه اللطف كما معلوم من أصول القوم؟

وإذا كانوا أجمعون قد علموا بأن .تعالى.خالقهم، فلم لم يكونوا سواء في الحجة .

خلاف صوري:

وبعد هذا كله فإنَّ الخلاف بين الاتجاه النقلي القائل بالتحسين والتقبيح عن طريق الشرع، وبين الاتجاه العقلي القائل بالتحسين والتقبيح عن طريق الشرع خلاف أقرب إلى الخلاف اللفظي، فإنَّ الاتجاهين كليهما يتفقان على أن:

---

(1) الملل والنحل، ج ١ ص ٧٥، ج١ ص ٧١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- الله .تعالى .لا يعاقب أحداً في الدنيا والآخرة إلا بعد إنفاذ الرسل إليهم استظهاراً في الحجة وإزالة للعلة .

- فشكر المنعم وإثابة المطيع وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل، وحتى الذين جوزوا من أرباب المدرسة العقلية التعذيب قبل بعثة الرسل قالوا: إنه تعالى لا يفعل ذلك مبالغة في الكرم والفضل والإحسان .

- وأنه .سبحانه .هيأ العقول بحيث تدرك معرفة .تعالى ،. وبعض أحكام التكليف .

- والاتجاهان يعترفان بالشرع والعقل ويعرفان لهما مكانتهما .

- ومما يدل على أن موقف المعتزلة .ومن وافقهم .من الشرع ليس بعيداً من موقف الأشاعرة . أن الشرع هو المهيمن على العقل عندهم .أنهم يقرون بأنه (لا قياس مع وجود النص، ويعللون ذلك بأن النص المعين لو تركناه بالقياس كنا قد ألغينا كلام الحكيم .تعالى .) [1] .يقول أبو الحسين البصري [2] (فما معنى قولكم في الأحكام أنها شرعية؟ قيل: معنى ذلك أنها مستفادة إما بنقل الشريعة لها عن حكم الأصل، وإما بإمساك الشريعة عن نقلها عن حكم الأصل) [3]، فالأحكام كلها عندهم تعود في حقيقتها إلى الشرع .

وإذا تأملت العبارة التي سيقت آنفاً عن الأشاعرة ألفيتها قريبة من رأي المعتزلة في هذه المسألة، فقول الأشاعرة (الواجبات كلها سمعية...، فمعرفة .تعالى .بالعقل تحصل، وبالسمع تجب، قال .تعالى : ﴿ ﴾

---

(1) المعتمد من أصول الفقه، لأبي الحسين البصري، ج ٢ ص ٨١٥ .

(2) أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، أحد أئمة المعتزلة، له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته،توفى سنة ٤٣٦هـ، من آثاره: المعتمد في أصول الفقه، وتصفح الأدلة،وغرر الأدلة.ينظر: طبقات المعتزلة، ص ١١٨، تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠، الكامل في التاريخ ٩/ ٥٢٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧١، وميزان الاعتدال، للذهبي ٣/ ٦٥٤ . ٦٥٥، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٧ . ٥٨٨، لسان الميزان ٥/ ٢٩٨، شذرات الذهب ٣/ ٢٥٩ .

(3) المعتمد في أصول الفقه، ج ١ ص ٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

﴿ ☼♦⇗➔⇖❻◆⇐❑✦☪⇙⇘⇖⇑ سـورة الإسـراء، الآيـة (١٥)، وكـذلك شـكر المنعم، وإثابة المطيع، وعقاب العاصي، يجب بالسمع ..) مُحالٍ لأقوال المعتزلة في الحسن والقبح غاية ما هنالك أن المعتزلة يوجبون معرفة بالعقل والأشاعرة يحكمون بوقوعها فقط، وقول الأشاعرة أقرب ،ولو أن المعتزلة حصروا إدراك العقل لبعض الأمور دون بعض لأنصفوا .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

سادساً: حكم أهل الفترة في الدنيا

أهل الفترة ومن لم تبلغهم الدعوة ومن في حكمهم لا يؤاخذون بحكم في دار الدنيا، ولا يقاتلون حتى تبلغهم دعوة الإسلام .

بهذا سارت الدعوات النبوية، والبشارات الرسولية من لدن آدم إلى محمد .عليهم الصلاة والسلام ،. والأخبار المتواترة في الفتوحات الإسلامية خير شاهد على هذا .

وقد رأى فقهاء الإسلام أنه إذا قتل من لم تبلغه الدعوة يضمن بالدية والكفارة .

هذا في معاملة العبد مع العبد، أما فيما يتعلق بمعاملة الخالق .سبحانه .مع المخلوق فلم تجر سنته .تعالى .بمعاقبة من لم تبلغهم الدعوة حتى ينفذ إليهم الرسل المنبهين إلى الحق الهادين إلى الرشد استظهاراً في الحجة، وخص .سبحانه .العقاب والمؤاخذة في الدنيا والآخرة بمن كذب المرسلين، فقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ سورة الإسراء، الآية (١٥) .

ولم يعلم أن الحق .سبحانه .أخذ قوماً بعقاب عام أو خاص في حق من لم تصله الدعوة من الأقوام السابقين أو اللاحقين، بل ولم نُلفِ هلاكاً قد أصاب غير المؤمنين بالإسلام في عصرنا سواء بلغتهم الدعوة أو لم تبلغهم، لكنهم ما كذبوا الرسول تكذيباً مباشراً[*] كما صنع كفار قريش الذين

---

[*] عنيت من بلغته الدعوة ولم يسلم، والتحقيق أن أكثر هؤلاء لم تبلغه دعوة الإسلام في صورتها المثلى .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

جاءتهم الدعوة فجحدوا وعاندوا واستكبروا بل ولم يُتَبِّر .تعالى. من لم تبلغه دعوة الرسول | في عصره .

وقد اتفقت الفرق الإسلامية على أن .تعالى .ما كان معذباً من لم تبلغه الدعوة عذاب استئصال في دار الدنيا إلا أن القائلين باستقلال العقل بمعرفة .تعالى. قبل ورود السمع جوزوا .ولم يوجبوا. المؤاخذة بذلك في دار الدنيا .

ومن قال بأن الحاكم بالحسن والقبح هو الشرع قرروا أنه (لا يجب قبل البعثة شيء لا إيمان ولا غيره،ولا يحرم قبلها كفر) [1] ولا يكلف بالإيمان العاقل قبل البلوغ ولا من نشأ في شاهق الجبال ونحوهم ممن لم تبلغهم الدعوة قبل إدراك الدعوة وزمان التجربة،وعليه فلا عقاب ولا عذاب على أهل الفترة ومن لم تبلغهم الدعوة في الدنيا والآخرة، ويؤيد القول بأنه لا يتعلق حكم بالعباد قبل البعثة قوله .تعالى. ♦✖✓⃠🖃🖃🖃⓿🖂➔↖✎🖃□🖃↗🖃🖃♦✎◆❒↓ ○🖂☻❁🖂➔⇗🖃♦☼🗐🖃❁☻🖂○ ↑ ⇳⇲⃠🖃 🖃✦❑←🖃◆❻ 🖂❁🖂➔⇗🖃♦☼🗐🖃❁☻🖂○ سورة الإسراء، الآية (١٥).وجه الاستدلال:(أنه نفى العذاب مطلقاً في الدنيا والآخرة، وذلك نفي للازم الوجوب والحرمة، وانتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم [2] .

وأيضاً أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعُذِّب تاركه فلا وجوب، أما الملازمة فبينة، وأما أنه لا تعذيب فللآية السابقة لأنه نفى التعذيب إلى غاية البعثة فينتفي وإلا وقع الخلف في قول وهو محال) [3] .

وموضوع ترجيح عدم تعلق الحكم بالعباد قبل البعثة يدفعنا إلى قضية أخرى ألا وهي: إذا لم يكن من لم تبلغه الدعوة مخاطباً بالإسلام فأسلم أي أتى بما يمكنه الإتيان به من مسمى الإسلام بأن صدق بالوحدانية، وما يجب لله .سبحانه. .،فهل يصح إسلامه بمعنى أنه يثاب عليه في الآخرة ؟(ذهب

---

(١) المسامرة بشرح المسايرة، ص ١٧٩ .

(٢) السابق عينه، ص ١٨٧ .

(٣) الحاوي، ج ٢ ص ٢٠٦ بتصرف .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الأشاعرة ومتقدمو الحنفية ومتأخروهم إلى أن إسلامهم صحيح كإسلام الصبي الذي يغفل معنى الإسلام والتكليف،وهذا مذهب الفقهاء،إلا أن بعض مشايخ الحنفية قال إنه سمع أبا الخطاب من مشايخ الشافعية يقول: لا يصح إيمان من لم تبلغه دعوة كإيمان الصبي فإنه لا يصح عندهم . على المرجَّح . من مذهبهم فيهن وتحقيقه أن إسلام الصبي المميز عندهم إنما يكون بالتبعية لأصله، أو لسابيه أو لدار الإسلام، وأما إسلامه بنفسه استقلالاً ففيه عندهم أوجه قيل: لا يصح، وقيل يصح .

والظاهر أن من قال من الشافعية بنفي صحة إسلام أهل الفترة ومن في حكمهم استقلالاً هو بالنسبة إلى أحكام الدنيا من عدم التوارث بينه وبين المسلم، وبقاء التوراث بينه وبين الكافر،ونحو ذلك،أما بالنسبة إلى الآخرة، فقال الأستاذ/ أبو إسحاق الإسفرايني[1]: إذا أضمر الصبي الإسلام كما أظهره كان من الفائزين بالجنة، وإن لم يتعلق بإسلامه أحكام الدنيا كما نقله الشيخان، ونقلا أن إمام الحرمين [2] استشكله بأنَّ من لم يحكم له بالفوز بإسلامه كيف لا يحكم بإسلامه؟ قال الرافعي [3]: وقد يجاب عنه بأنا قد نحكم بالفوز في الآخرة، وإن لم نحكم بالإسلام في الدنيا كما في البالغ العاقل الذي لم تبلغه الدعوة، واعترضه ابن الرِّفعة [4] بالفرق بأن من لم تبلغه الدعوة لم نحكم بفوزه لإسلامه، بل لعدم تعلق الخطاب به، والتحقيق أنَّ ما ذكره الرافعي وابن الرِّفْعَة لا يلاقي مقصود الأستاذ لأمرين: الأول: أنه قد نقل أن الإمام نقل عن والده كلام الأستاذ على وجه محصلة أنه متوقف في دخول أطفال الكفار الجنة قبل أن يعقلوا معنى الإسلام ويعقدوه وأنَّ من علم معنى الإسلام وعقده منهم فهو من الفائزين بالجنة بلا توقف، وإن كان لا يتعلق به أحكام الدنيا؛ لأن أحكام الدنيا منوطة بالتلفظ بالشهادتين على الوجه المعتبر، ولم يفرض الأستاذ الكلام فيمن تلفظ بالشهادتين، وقد تنبه

---

(1) الأستاذ/ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأسفرايني: أحد أئمة الأشعرية، توفى سنة ٤١٨هـ. طبقات الشافعية ٣/ ١١١ .

(2) الإمام أبو المعالي الجويني: أحد أئمة الأشعرية، توفى سنة ٤٣٨هـ وقيل ٤٣٤ هـ .

(3) الرافعي (٥٥٥ هـ . ت ٦٢٣ هـ): عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي، القزويني الشافعي، أبو القاسم، فقيه من تصانيفه: فتح العزيز على كتاب الوجيز، للغزالي، وشرح مسند الشافعي ، والترتيب، ينظر: طبقات الشافعية، للسبكي (٥/ ١١٩ . ١٢٥) وشذرات الذهب ٥/ ١٠٨ . ١٠٩ .

(4) ابن الرفعة (٦٤٥هـ . ت ٧١٠هـ): أحمد بن محمد بن علي بن الرفعة الأنصاري، المصري، الشافعي، من مؤلفاته: الرتبة في الحسبة، والكفاية في شرح التنبيه، للشيرازي، ومطالب المعاني في شرح وسيط الغزالي، ينظر: طبقات الشافعية، للسبكي (٥/ ٢٧٨) والدرر الكامنة، لابن حجر (١/ ٢٨٤ . ٢٨٧) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ابن أبي الدم لذلك، فقال في شرحه للوسيط : إنَّ الأستاذ لم يحكم له بالفوز لإسلامه، بل لإيمانه، ولا يلزم من الحكم بالفوز للإيمان المتعلق بحكم الباطن الحكم بالإسلام المتعلق باللفظ .

الثاني: أن الفوز في حق من لم تبلغه الدعوة هو انتفاء العقاب لقوله تعالى: ﴿ ﴾ سورة الإسراء، الآية (١٥)،ولا يلزم من انتفاء العقاب حصول الثواب)[١] .

ويرد على هذا أن الحكم على العباد في الآخرة يكون بالثواب أو العقاب، ولا يقال: إنَّ حال هؤلاء كحال أصحاب الأعراف لأمرين : أحدهما: أن أصحاب الأعراف يختم لهم بالجنة، فإنهم يقفون على الأعراف حيناً من الدهر ثمَّ يؤمر بهم إلى الجنة[*]، ولا يخلدون على هذا الحال .

والآخر: أنَّ أهل الأعراف مخاطبون بالشرع مؤاخذون بحكمه .

سابعاً: حال أهل الفترة في دار البرزخ

بدا لنا من أقوال جمهور الأصوليين والفقهاء أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً، وعلى هذا فإنَّ أهل الفترة لا يعذبون في قبورهم، ولا يصيبهم شيء من عذاب القبر ولا تلحقهم فتنته، ولا أهواله ،ويؤكد هذا الفهم كثير من الأحاديث الواردة في سؤال الملكين منكر ونكير .عليهما السلام . لأهل المقابر،وأشهرها حديث البراء بن عازب ﷺ وهو حديث طويل، الشاهد منه قول النبي | في حق المؤمن:﴿ فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه،فيقولان:من ربك؟وما دينك؟ومن نبيك؟ فيقول:ربي وديني الإسلام،فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟فيقول:هو رسول ،فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت...﴾ إلى أن يقول في الكافر . وفي رواية الفاجر :﴿ ويأتيه ملكان شديداً الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟

([١]) المسامرة شرح المسايرة، ص ١٩٣، ١٩٤ .

[*] وجاء في هذا حديث عن حذيفة ﷺ، له حكم الرفع ذكره ابن كثير في تفسيره لسورة الأعراف، ج ٢ ص ٣٢٥ وسكت عليه .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فيقول: لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك، قال: فيقال: لا دريت .. ﴾[1].

يتجلى من هذا الحديث أن الذي سيجيب على فتاني القبر من أتاه رسول وبلغته الدعوة، أما مَن لم يأته نبي فلا يمكن أن يجيب على السؤال الثاني والثالث ويمكن أن تكون إجابته على الملكين: إنني لم يبعث إليَّ رسول، ولم تبلغني دعوة فكيف أجيب أسئلتكم .

وعن أنس ﷺ أن النبي | قال:﴿ إن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع خفق نعالهم،أتاه ملكان فيقعدانه،فيقولان له:ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول:أشهد أنه عبد ورسوله،قال:فيقول:انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك به مقعداً من الجنة،قال رسول | :فيراهما جميعاً،... وأما الكافر والمنافق، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقولان: لا دريت ولا تليت، ثمَّ يضرب بمطراق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة فيسمعها مَن عليها غير الثقلين ﴾[2].

وضح من هذا أنَّ السؤال في القبر يكون لمن عقل الرسول والمُرسِل، فيسأل هل آمن بالرسول أم لا؟ أما من لم تبلغه دعوة فكيف يقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟

فإنه لا يُسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ثمَّ إنه لا فائدة من سؤاله على وجه تلقينه الإجابة وعدمه،فالأشبه أنهم لا يسألون في البرزخ ولا يعذبون، فإن قيل: صحت أحاديث

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في المسألة في القبر رقم ٤٧٥٣، وابن ماجة في سننه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في الجلوس على القبر رقم ١٥٤٨، ١٥٤٩، والنسائي ٤/ ١٠١، ١٠٢، والحاكم في مستدركه، ج ١ ص ٣٧ ـ ٤٠، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأبو داود الطيالسي في مسنده رقم ٧٥٣، وأحمد في مسنده، ج ٤ ص ٢٨٧، ٢٨٨، والآجري في الشريعة، ص ٣٦، ٣٧، وصححه القرطبي في التذكرة، ص ١١٦، ن: دار الفجر للتراث بالأزهر، ط أولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م،وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين،ج ١ ص ٢١٤، والروح، ص ٥٧، ٥٨، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجة: إسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: الميت يسمع خفق النعال، حديث رقم (١٣٣٨)، ومسلم، كتاب: الجنة، باب: عرض مقعد الميت عليه وإثبات عذاب القبر رقم ٢٨٧٠ ج ٩ ص ١٩٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بتعذيب بعض أهل الفترة في القبور،وذلك مثل ما رواه زيد بن ثابت ﷺ قال: بينما النبي | في حائط بني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة .. فقال: ﴿ من يعرف أصحاب هذا الأقبر؟، فقال رجل: أنا، قال: متى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ﴾[1].

قلت: يجاب عنه بقصر التعذيب الوارد في هذه الأحاديث على من بدَّل وغيَّر الشرائع وشرع من الكفر وما لا يعذر به، أو رضي بذلك وتابع دون جهل أو على من ورد النص الصحيح فيه .

ثامناً: حكم أهل الفترة في الدار الآخرة

باعتبار قيام الحجة على العباد بالشرع أو العقل تعددت مقالات الإسلاميين في الحكم بنجاة أهل الفترة .ومن على شاكلتهم .في الدار الآخرة إلى ثلاثة آراء :

الرأي الأول: يرى الأشاعرة ومتأخرو الماتريدية والإباضية وكذا متقدمو الماتريدية والمعتزلة والشيعة والخوارج .على التحقيق .أنَّ من لم تبلغه دعوة نبي فمات لا يدخل النار، وهو من الفائزين بالجنة .

الرأي الثاني: قررت بعض فرق المعتزلة وجماعة المسلمين (التكفير والهجرة) أن أهل الفترة ومن لم تبلغهم الدعوة يعذبون في الآخرة ويخلدون في النار، قد دُحِض رأيهم وأدلته فيما سبق .

الرأي الثالث: رأي جماعة من أهل السنة والسلف، أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ويرسل إليهم هناك رسول فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه أدخله النار، وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وممن قال بهذا الرأي جماعة من أهل السنة منهم البيهقي وابن القيم، واستدلوا على ذلك بآثار كثيرة يؤيد بعضها بعضاً .

([1]) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة، باب: عرض مقعد الميت عليه، رقم ٢٨٦٠، ج ١٧ ص ٢٠٢، وأحمد ٥/ ١٩٠، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣/ ٣٧٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وبعد دحض الرأي الثاني بقى رأيان يحتاجان إلى مناقشة وترجيح، وهما الرأي الأول والرأي الثالث.

أدلة أصحاب الرأي الأول*:

إذا استقرأنا نصوص القرآن الكريم وجدنا آيات كثيرة تؤكد نجاة من لم تبلغهم الدعوة، ومن هذه الآيات:

١ .قوله .تعالى :﴿ ﴾ سورة الإسراء،الآية (١٥).تقرر الآية أن من لم تبلغهم الدعوة إلى الرسالة أو بلغتهم على وجه لا يسوق إلى النظر، لم يتوفر لهم من أنواع الهداية سوى ما يحصل بالحس والعقل وحرموا رشد الدين فإن لم يضلوا، في شؤونهم الدنيوية ضلوا لا محالة فيما تطلب ما نجاة الأرواح وسعادتها في الحياة الأخرى، على أن من شأن الدين الصحيح أن يفيض على أهله من روح الحياة ما به يسعدون في الدنيا والآخرة معاً، فمن حرم الدين حرم السعادتين، وظهر أثر التخبط والاضطراب في أعمال معاشه .. أما أمرهم في الآخرة فعلى أنهم لن يساووا المهتدين في منازلهم، وقد يعفو عنهم .

وأزيد في إيضاح هذا أن الذين حُرموا هداية الدين لا يعقل أن يؤاخذوا في الآخرة على ترك شيء مما يعرف بهذه الهداية، وهذا معنى كونهم غير مكلفين، وعليه جمهور المتكلمين، لقوله .تعالى .في سورة الإسراء ﴿ ﴾ ومن قال: إنهم مكلفون بالعقل لا يظهر وجه لقوله إلا إذا أراد أن حالهم في الآخرة تكون على حسب ارتقاء أرواحهم بهداية العقل وسلامة الفطرة، إذ لا شك أن من لم يبعث فيهم رسول يتفاوتون في إدراكهم بتفاوت استعدادهم الفطري وما يصادفون من حسن التربية وقبحها، وبهذا يجمع بين القولين وعدمه أو يفصل بينهما، وما يعطيهم .تعالى .إياه في الآخرة على حسب حالهم في الخير والشر والفضيلة والرذيلة يكون جزاءً عادلاً على أعمالهم الاختيارية ويزيدهم من فضله إن شاء .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فحصرت آيات الكتاب العزيز عذاب الدنيا والآخرة في إرسال الرسل وإقامة الحجج وإزالة العلل .

٢ .قال ﷻ: سورة طه، الآية (١٣٤) وجه الدلالة:أنه .تعالى .أخبر أنه لو أهلك مشركي قريش بعذاب من قبل بعثة محمد | ونزول القرآن لقالوا يوم القيامة: .يقول ابن كثير: أي لو أنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا [1].

٣ .قال .جل ثناؤه : سورة القصص، الآية (٥٩) .فإذا كان .سبحانه .لا يهلك القرى في الدنيا ولا يعذب أهلها إلا بإرسال الرسول وقيامه بتلاوة الآيات عليهم ليقطع حججهم، فكيف يعذب في الآخرة من لم يأته رسول ولم تبلغه الدعوة .يقول الرازي في تفسير الآية السابقة: أي لم أهلكهم إلا وقد استحقوا

*استفضت في هذه الأدلة لأن ثمرتها غاية البحث

(1) تفسير القرطبي، ج ١١ ص ٢٦٤، تفسير البحر المحيط، ج ٣ ص ٣٩٩، وتفسير ابن كثير، ج ٣ ص ١٧٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الإهلاك لإصرارهم على الكفر بعد الإعذار إليهم، وفي هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم أخبر .تعالى. أنه لا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل، ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم، ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين [1] .ثمَّ إنه .سبحانه .لما ذكر أنه أهلك تلك القرى بسبب بطر أهلها، فكأن سائلاً أورد السؤال من وجهين: الأول: لماذا ما أهلك الكفار قبل محمد| مع أنهم كانوا مستغرقين في الكفر والعناد ؟ الثاني: لماذا ما أهلكهم بعد مبعث محمد| مع تمادي القوم في الكفر ب .تعالى .والتكذيب بمحمد| ؟ فأجاب عن السؤال الأول بقوله .تعالى .

.وحاصل الجواب أنه .تعالى .قدم بيان أن عدم البعثة يجري مجرى العذر للقوم، فوجب أن لا يجوز إهلاكهم إلا بعد البعثة .

ثمَّ ذكر المفسرون وجهين:أحدهما:

أي في القرية التي هي أمها وأوصلها، وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها رسولاً لإلزام الحجة وقطع المعذرة .

الثاني: وما كان ربك مهلك القرى التي في الأرض حتى يبعث في أم القرى .يعني مكة .رسولاً وهو

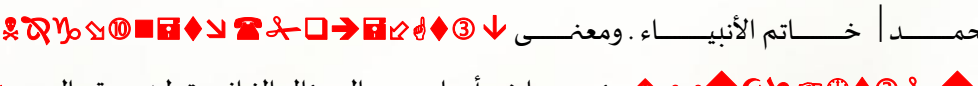

يؤدي ويبلغ .وأجاب عن السؤال الثاني بقوله .تعالى :

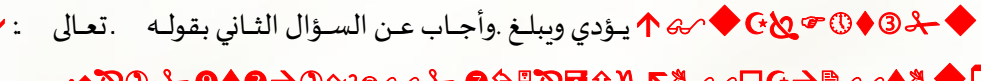

أنفسهم بالشرك .. [2] .

٤ .وقال .تعالى :

---

(1) تفسير الرازي، ج ١١ ص ١٩٩، وتفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٣٩٦ .

(2) تفسير الرازي ١٢/ ٣٠٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة النساء،الآية (١١٥) .تقطع الآية بأن العذاب الأخروي حاصل لمن شاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي واتبع غير سبيل المؤمنين، وأرباب الفترات لم يشاققوا الرسول ولم يتبين لهم الهدي إذ لم يُنفذ إليهم رسول رأساً .

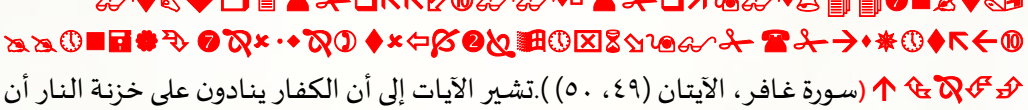

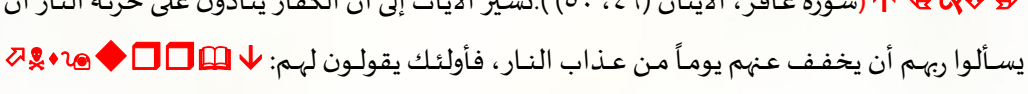

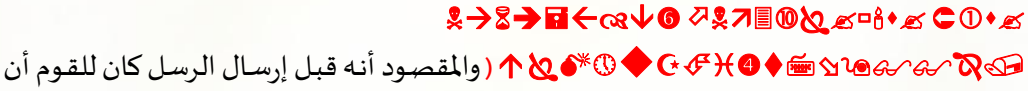

(سورة غافر، الآيتان (٤٩، ٥٠)).تشير الآيات إلى أن الكفار ينادون على خزنة النار أن يسألوا ربهم أن يخفف عنهم يوماً من عذاب النار، فأولئك يقولون لهم:

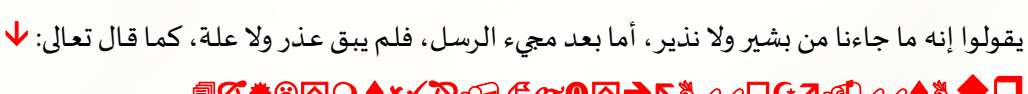

(والمقصود أنه قبل إرسال الرسل كان للقوم أن يقولوا إنه ما جاءنا من بشير ولا نذير، أما بعد مجيء الرسل، فلم يبق عذر ولا علة، كما قال تعالى:

سورة الإسراء، الآية (١٥)) [1] .

(١) تفسير الرازي، ج ١٣ ص ٥٦٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة الزمر، الآية (٧١) .تؤكد الآية على شهادة الكفار بأن .تعالى .أرسل إليهم رسله لتبليغ آياته وإنذارهم بلقائه، فمن لم يرسل إليهم رسله لا يشهدون بهذا، فلا تقام الحجة عليهم ولا تزال أعذارهم كمن بلغتهم الدعوة .

٧ .قال .جل ذكره :

سورة الملك، الآيتان (٨، ٩) وجه الدلالة: (أنه يستفاد منها أن ﷻ لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه من وجوه: أحدها: أن هذه الآية تؤكد وتوضح اعتراف المشركين بعدل ، وإقرارهم بان أزاح عللهم ببعثة الرسل، ولكنهم كذبوا الرسل وقالوا: الثاني: دلت الآية على أنهم ما سمعوا من الأنبياء .عليهم السلام .سماع هداية، ولا عقلوا عقل هداية، فعوقبوا بالخلود في النار، وأهل الفترة ما سمعوا من نبي، ناهيك عن تعقل كلامه .[1]

الثالث: أثبتت الآية أنه .تعالى .عذبهم لأنه أتتهم الرسل وبلغتهم الدعوة، فلو لم تبلغهم الدعوة وما أتاهم نذير ما عذبهم .

٨ .وقال .جل ثناؤه :

(١) تفسير الرازي ١٥/ ٦٢٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة فاطر، الآية (٣٧) .

تؤكد الآية ما أكدته الآيات السابقة من إقرارهم بمجيء النذير إليهم .

٩ . قال . جل وعلا :
سورة القصص، الآية (٤٧).وجه الدلالة: أنه . تعالى . أخبر أن ما قدمت أيديهم قبل البعثة سبب لإصابتهم بالمصيبة، وأنه . سبحانه . لو أصابهم بما يستحقون من ذلك لاحتجوا عليه بأنه لم يرسل إليهم رسولاً ولم ينزل عليهم كتاباً فقطع هذه الحجة بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لئلا يكون للناس على حجة بعد الرسل، فهو سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل [١] .

١٠ـ وقال . عز من قائل : 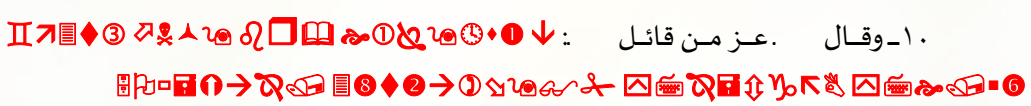
سورة الأنعام، الآية (١٣١) .وجه الدلالة: أنه . تعالى . ذكر أنه أعذر إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب لئلا يؤاخذ أحداً بظلمه وهو لم تبلغه الدعوة ولكن أعذر إلى الأمم، وما أعذر أحداً إلا بعد إرسال الرسل إليه [٢] .

١١ـ قال . تعالى :

(١) تفسير الرازي، ج ١٣ ص ١٩٤ .

(٢) تفسير القرطبي، ج ٧ ص ٨٧، وتفسير ابن كثير، ج ٢ ص ١٧٧، ١٧٨ .

السدة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة يونس، الآية (١٣).

انظر إلى قوله تعالى: ، وهو يصف إهلاكه للأمم المجرمة:
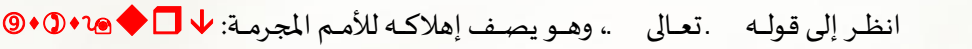
لم هذا الإهلاك ومتى ؟؟، بعد ثلاث مراحل:

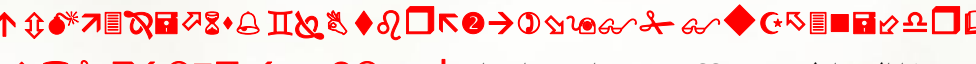
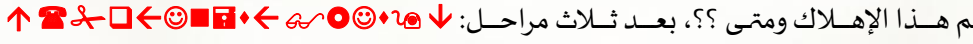
. فوقوع الآثام فيهم، ووقع العدوان منهم، لم يلحق بهم العقوبة على الفور! هنا مهلة البيان يجيء المرسلون فيها ليعلموا الجاهل، ويُفهموا العاقل، ويزجروا الجاحد ،ومع هذا البيان الشافي، فإنَّ الوقوع في الأخطاء لا يستتبع الاستئصال، بل تجيء مهلة أخرى، مهلة الإرجاء والتجاوز ليقدر المخطئون فيه النصائح المسداة لهم وليفطنوا أنفسهم عن الرذائل التي ألفوا ارتكابها، وليخلصوا بحياتهم من عواقب الإجرام القديم.

فإذا تكشف أن إرعواءهم ميئوس منه، وأن صلاحهم بعيد الحصول، وأن تكرار النصح عبث،وأنهم على التلطف والتأديب ما كانوا ليؤمنوا،فهنا ينزل القصاص الرهيب !!

هذه المراحل الطويلة، كما بين القرآن أنها تسبق هلاك المجرمين، بين أنها تسبق انصرافهم عن الحق، وكنودهم لدعائه، وتأمل في قوله ﷻ

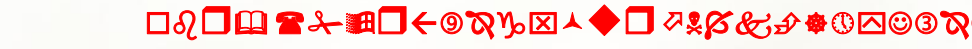

سورة آل عمران، الآية (٨٦) فجحد الحق بعد ما يخامر شعاعه النفس، ويعنو لسطوته الفكر بعد الإيمان، ثم يجيء الجنوح إلى الزور، واتباع العناد، ثم انقطاع المعاذير لتوفر العمل، وتمهد السبل إلى الحقيقة، وكثرة

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

دواعي الأخذ بها، كل ذلك يسجل على الإنسان أنه ظالم لنفسه وظالم لغيره، فإذا أصر على غيه بعد ذلك ف لا يهدي القوم الظالمين [1] .

١٢ـ قال عز شأنه :

سورة الأنعام، الآية (١٣٠) .وجه الدلالة: أن الآية تقرر أن جل وعلا .لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليهن وإرسال الرسول إليه، لأنه .تعالى .أوضح أنه أرسل رسله من بني أقوامهم لقص آياته عليهم وإنذارهم بلقاء يومهم، ثمَّ إنه .سبحانه .سائل المكذبين يوم القيامة عن ذلك فيشهدون على أنفسهم أنهم لم يعذبوا إلا بالحجة،ولو لم يرسل إليهم رسله .عليهم السلام .لأمكن لهم العذر .

١٣ .قال .جلت قدرته :

سورة الأعراف، الآيتان (٣٥، ٣٦).ففي هذه الآية دلالة على أن الحجة قائمة على الكافرين بإرسال الرسل، ومجيئهم بالبينات، وهدايتهم

(١) كيف نفهم الإسلام، للشيخ/ محمد الغزالي، ص ٢٩، ٢٠ .

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

للخلق؛ إذ إنه .سبحانه .حكم بخلودهم في النار لأجل تكذيبهم بآيات الأنبياء .عليهم السلام .والاستكبار عنها .

وفيها أنه .تعالى .قسَّم الناس إلى فريقي أهل السعادة وأهل الشقاوة بإنفاذ الرسل، وعلق الحكم في ذلك بهذا الأمر، فلولا إرسال الرسل ما كان بنو آدم فريقين .

١٤ .قال .تقدست أسماؤه :﴿ ﴾ سورة النساء، الآية (١٦٥) .أي ما كنا معذبين أحداً تعذيب استئصال في الدنيا إلا بعد دفع الشبه ورفعها عن الحجج من كل وجه بعد تمامها، ليدفع عنهم عذرهم من كل وجه، ويقيم عليهم الحجة .(فعلم بهذه الآية أن .تعالى .لم يوجب على العقلاء شيئاً من جهة العقل، بل أوجبه ذلك عند مجيء الرسل من قبل .تعالى .، ولأن العقل صفة للعاقل وهو محدث مخلوق لله .تبارك وتعالى .، وليس بقائم بنفسه ولا حي ولا قادر ولا متكلم، وما هذه حالته فلا يصح أن يوجب على العقلاء ولا على غيرهم شيئاً ولا أن يُحرم شيئاً، ولا يُقبّح شيئاً، ولا يعلم به غير المعلومات التي لا تتعلق به كجميع العلوم، إذا كان كذلك لم تصر الأفعال حسنة واجبة بإيجابه، ولا محرمة قبيحة بتحريمه ولا مباحة كسائر الحوادث لأنه محدث مخلوق كسائر العلوم والحوادث، ولو وجب عليهم شيء من جهة العقل قبل مجيء الرسل فكان حجة عليهم مجردة في ذلك لما قال: (لئلا يكون للناس على حجة بعد الرسل) بل كان الواجب أن يقول: لئلا يكون لله حجة بعد العقل) [(١)] .

يقول صاحب الظلال: (ونقف أمام عظمة العدل الذي يرتب للناس حجة على .سبحانه .لو لم يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، هذا مع احتشاد كتاب الكون المفتوح،وكتاب النفس المكنون بالآيات الشواهد على الخالق،ووحدانيته، وتدبيره وتقديره، وقدرته على علمه ... ومع امتلاء الفطرة بالأشواق والهواتف إلى الاتصال ببارئها والإذعان له، والتناسق والتجاوب والتجاذب بينها وبين دلائل وجود الخالق في الكون والنفس ... ومع هبة العقل الذي يملك أن يحصي الشواهد ويستنبط النتائج،

(١) الإشارة إلى مذهب أهل الحق، لأبي إسحاق الشيرازي، ت ٤٧٦هـ، ص ١٢١، تحقيق: د: محمد السيد الجليند، ط وزارة الأوقاف، مصر، سنة ١٤٢٠هـ-١٩٩م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولكن .سبحانه. بما يعلم من عوامل الضعف التي تطرأ على هذه القوى كلها، فتعطلها، أو تفسدها، أو تدخل في حكمها الخطأ والشطط، قد أعفى الناس من حجية الكون، وحجية الفطرة، وحجية العقل، ما لم يرسل إليهم الرسل ليستنقذوا هذه الأجهزة كلها مما قد يرين عليها، وليضبطوا بموازين الحق الإلهي الممثل في الرسالة، هذه الأجهزة، فتصح أحكامها حين تستقيم على ضوابط المنهج الإلهي.. وعندئذ فقط يلزمها الإقرار والطاعة والاتباع، أو تسقط حجتها وتستحق العقاب، ثمَّ تشاء رعاية وفضله ورحمته وبره بهذا المخلوق ألا تدعه لما أودع في كينونته من فطرة هادية ولكنها تطمس، ومن عقل هاد ولكنه يضل، بل يتفضل عليه، فيرسل إليه الرسل تترى.. وهو يكذب ويعاند، ويشرد وينأى، فلا يأخذه ربه بأخطائه وخطاياه، ولا يحبس عنه بره وعطاياه، ولا يحرمه هداه على أيدي رسله الهداة، ثمَّ لا يأخذه بالعقاب في الدنيا أو في الآخرة حتى تبلغه الرسل، فيعرض ويكفر..) [1] .

فالعقل آلة تحتاج إلى محرك لها ومصرف وراسم للطريق، وهاد يهديها السبيل ذاكم هو الشرع .

١٥ــــــ ويقــــــول ﷻ: [illegible] سورة المائدة، الآية (١٩) .وجه الدلالة: تثبت الآية أنه .تعالى. أرسل الرسول | لأهل الكتاب وقت الفترة كراهة أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فبعث إليهم الرسول | إزالة لهذا العذر، وإذا كان هذا حال أهل الكتاب فغيرهم أولى .

١٦ـ وقال الحق .جل اسمه. : [illegible]

---

(١) في ظلال القرآن، ج ٢ ص ٨١٠، ٨١١ بتصرف قليل .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net
٢:٥٦ م

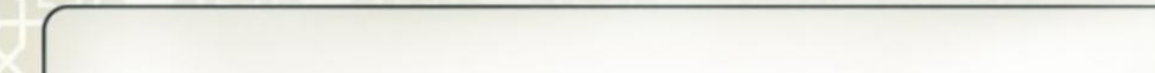
سورة البينة، الآيتان (١، ٢).

تقرر الآيات أنه أهل الكتاب والمشركين ما كانوا منفصلين ومنتهين وتاركين ما هم عليه من الكفر حتى تأتيهم الحجة الواضحة وهي رسالة خاتم النبيين ، ولهذا فسَّرها بقوله:

،فلما جاءهم كتاب من عند آمن فريق منهم فهداهم .تعالى .به من الضلالة،وكفر فريق منهم فما انفكوا عن كفرهم وشركهم.

١٧ـ وقال .جل ذكره :

سورة النازعات،الآية(١٩) .ذكرت الآية أنه .تعالى .أرسل رسوله موسى عليه السلام إلى فرعون ليرشده إلى معرفة ربه وطاعته، فلو غاب المرشد ما عرف العبد ربه .

١٨ .وقال .تعالى :

سورة الزخرف، الآية (٧٦)، تقطع الآية بأن العذاب حق على الكافرين بكفرهم وظلمهم، وفي هذا إزاحة لأعذارهم ولا يكون ذلك إلا ببعث الرسل إليهم .

١٩ـ وقال .سبحانه :

سورة الجاثية، الآية (٣١) . تؤكد الآية أن العذاب المقيم أصابهم لأن آيات .سبحانه .تليت عليهم، ودعوة الرسل بلغتهم لكنهم استكبروا وعاندوا واستهزءوا .

٢٠ـ وقال .جلت حكمته :

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

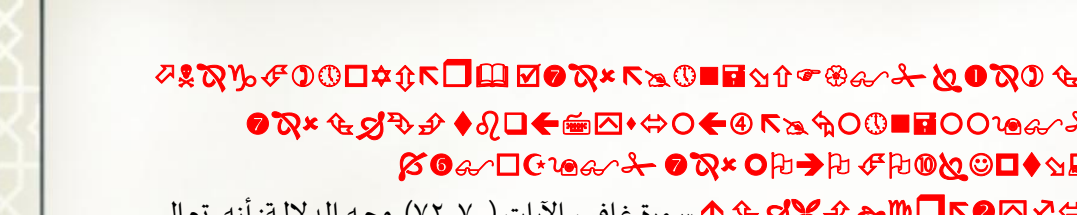

خص العذاب الأخروي بمن كذب بكتب وبما أرسل به رسله .

٢١ــ وقــال .جــل وعــلا :

وجه الدلالة: أن .تقدست أسماؤه .قطع بأحقية العقاب لمن كذب المرسلين، وأرباب الفترة لم يكذبوا المرسلين فلا يحق عقابهم، فلو عوقبوا دون إنفاذ النبيين إليهم .

٢٢ـ وقــال .سـبحانه وتعــالى :

وهارون .عليهما السلام .أخبرا فرعون بأن .تعالى .أوحى إليهما أن العذاب مخصوص بمن كذب المرسلين وأعرض عن آيات بعد إذ جاءته .

٢٣ـ وقال .جلت صفاته :

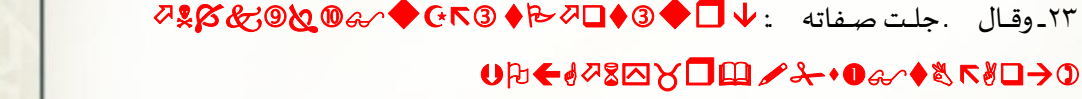

الدلالة:أن .جل ذكره .يسأل المشركين يوم القيامة عن تكذيبهم الأنبياء .عليهم السلام .وأحوالهم معهم، وأهل الفترة لم يروا نبياً ولم يأتهم رسول، فكيف يجيبون؟ وهل يصح أن يصدر إليهم السؤال عن هذا رأساً؟ .

٢٤ـ يقول الحق .جل وعز :

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الشعراء، الآيتان (٢٠٨، ٢٠٩) .هذه الآية تدل على المغزى الذي تقرر من وجهين:أحدهما: أنه .تعالى . حصر وقصر وقوع الهلاك على القرى حتى يأتيهم المنذرون .

والثاني: أنه .سبحانه .أشار إلى أن إهلاك القرى بغير مجيء المرسلين إليهم ظلم يتنزه عنه، ولا يليق بجلاله . وقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم عن قتادة في الآية قال: ما أهلك من قرية إلا من بعد الحجة والبينة والعذر حتى يرسل الرسل وينزل الكتب تذكرة لهم وموعظة وحجة ذكرى وما كنا ظالمين، يقول: ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البينة والحجة [1] .

٢٥ــ ويقــول ﷻ: ﴿ ﴾ سورة الصافات،الآية (٧٢)،وهذه الآية ككثير من الآيات السابقة تجزم بأن الحق .سبحانه .بعث أنبيائه ورسله إلى الأولين والآخرين، فأنذروهم عقاب وبشروهم برحمته .

٢٦ــ ويقــول .جل جلالــه : ﴿ ﴾ سورة الأعراف، الآيتان (٤، ٥) .وجه الدلالة: أن الأقوام ما أهلكوا حتى أعذروا من أنفسهم واقروا بظلمهم، وفي هذا كمال الإعذار والإنذار ونصب الأدلة .

٢٧ــ وقــال .تعالى : ﴿ ﴾ سورة يس،

---

(١) الحاوي، ج ٢ ص ٢٠٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الآيتان (٦، ٧) .وجه الدلالة:أن الآباء لم يأتهم رسول ولا كتاب، والأبناء أتاهم جاءهم رسول وكتاب فلا يستوي من أنذر بمن لم ينذر؛ لذا خص العذاب بالغافلين المتخبطين في ظلمات الشرك وعبادة الأوثان، ثم بين استحقاقهم للعذاب بإصرارهم على الكفر والتكذيب، فقال: [illegible] [illegible] [illegible]، ولم يومئ إلى تعذيب غير المنذرين، فاستبانت نجاتهم .

٢٨ـ وقال . سبحانه : [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سورة الأنعام، الآيتان (١٥٦، ١٥٧) وجه الدلالة:أنه . تعالى . قطع حجج المشركين بإنزاله القرآن على محمد | لئلا يقولوا يوم القيامة إنما أنزل الكتاب على اليهود والنصارى وكنا عن دراسة ما في كتبهم غافلين لأنها لم تكن بلغتنا، أو يقولوا [illegible] [illegible] [illegible] وأسرع للإجابة، فقد جاءكم من ربكم نبي عزيز بكتاب عزيز(*) .

٢٩ـ خص . تعالى . العذاب في الدنيا والآخرة بمن كذب المرسلين . عليهم السلام . ولم يكذب أهل الفترة، قال تعالى: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(*) للمزيد: يراجع: تفسير الطبري ١٢/ ٢٤٥، وتفسير أبي السعود ٢/ ١٤٩، وزاد المسير، لابن الجوزي ٣/ ١٥٥، وتفسير القرطبي ٧/ ١٤٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة القمر، الآيات (١٢.٩) .ووقع هذا من عاد قوم هود فأهلكهم .

تعالى .قال .سبحانه :

سورة الشعراء، الآية

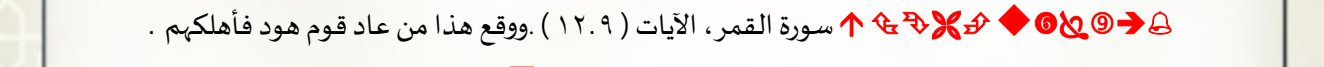

(١٣٩). وكذا ثمود قال تعالى:

سورة

الشمس،الآية(١٤) كذلك كذب قوم شعيب عليه السلام فجاءهم العذاب،قال .تعالى :

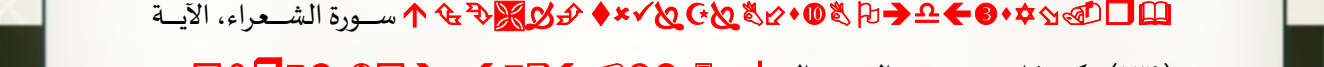

سورة العنكبوت، الآية (١٣٩) .وهذه عادة .سبحانه .أجراها على المكذبين كافة، قال .

سبحانه :

سورة ص، الآية (١٤) وقال:

سورة ق، الآية (١٤) .

٣٠ـ أن جعل لكل قوم هادياً يهديهم ويرشدهم ويصلح أمورهم وينذرهم عقابه إن كذبوا وعاندوا وجحدوا، قال .سبحانه وتعالى :

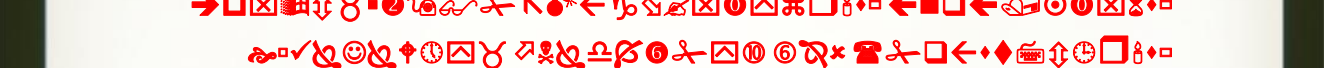

سورة الرعد، الآية (٧) . وقال:

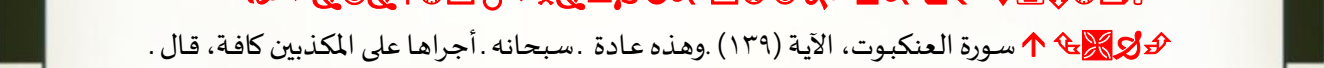

سورة فاطر، الآية (٢٤)، شملت هذه الهداية التي يحملها الأنبياء والمرسلون .عليهم السلام .الأقوام والقرى والمدن في العالم كله دون تخصيص مكان أو زمان، قال .جل شأنه :

سورة النحل، الآية (٣٦) وقال:

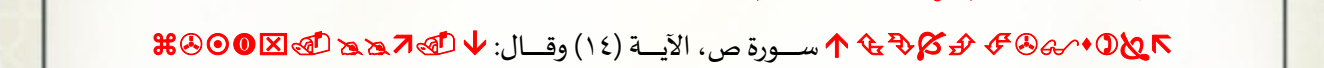

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة فاطر، الآية (٢٤) وقال:

سورة الأعراف، الآية (٩٤) وقال:

سورة الزخرف، الآيات (٦ ـ ٨)، ومن أجل تبليغ الأقوام منهاج ، وحسن إفهامهم لشرعه بعث . سبحانه . أنبياءه ورسله . عليهم السلام . من أبناء أقوامهم، يتكلمون بألسنتهم ويعرفون عاداتهم ويعيشون بينهم،قال . تعالى :

سورة إبراهيم، الآية (٤) وقال سبحانه:

سورة الأعراف، الآية (٣٥) .

٣١ـ ولكمال الحجة ونفي العذر جاء الرسول من البشر ولم يكن ملكاً من الملائكة . عليهم السلام . قال . جل ثناؤه :

سورة إبراهيم، الآية (١١)

سورة الأعراف، الآية (٣٥)

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سورة الأنعام، الآيتان (٨، ٩)

سورة الإسراء، الآية (٩٥).

ومن أجل ذلك أيضاً أتى الرسول متحدثاً بلسان قومه، يقول تعالى:

سورة إبراهيم، الآية (٤) وقد طلب موسى عليه السلام من ربه سبحانه أن يحلل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ويفهموا حديثه، قال تعالى حاكياً عنه:

سورة طه، الآيات (٢٥ ـ ٢٨).

٣٢. وأنفذ سبحانه رسله عليهم السلام بتبشير المؤمنين برحمة وإنذار الكافرين بعذاب، قال تعالى:

سورة النساء، الآية (١٦٥)

سورة الكهف، الآية (٥٦)، ويقول

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لنبيه محمد | :
سورة الفرقان، الآية (٥٦) .

٣٣_ وإقامة للحجة وإزاحة للعذر أرسل .تعالى .رسله بأدلة صدقهم وبراهين دعواهم قال تعالى:
سورة الحديد، الآية (٢٥) 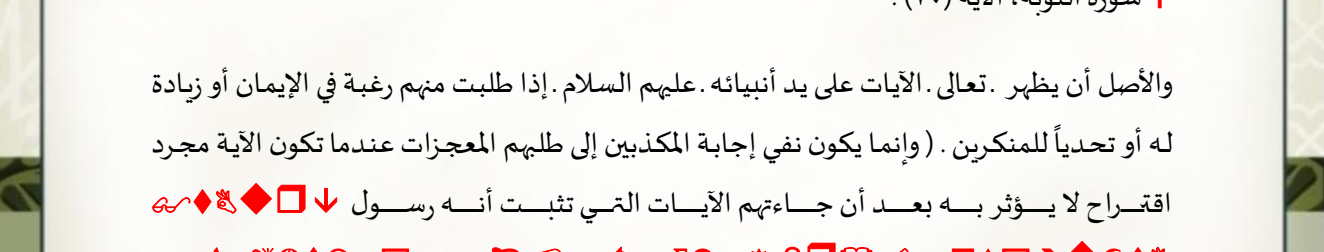
سورة المائدة، الآية (٣٢) 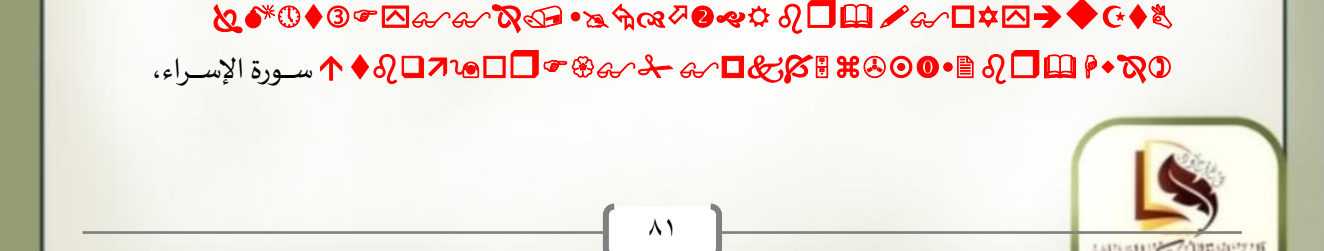
سورة آل عمران، الآية (١٨٤)

سورة غافر، الآية (٢٢)
سورة التوبة، الآية (٧٠) .

والأصل أن يظهر .تعالى .الآيات على يد أنبيائه .عليهم السلام .إذا طلبت منهم رغبة في الإيمان أو زيادة له أو تحدياً للمنكرين . (وإنما يكون نفي إجابة المكذبين إلى طلبهم المعجزات عندما تكون الآية مجرد اقتراح لا يؤثر به بعد أن جاءتهم الآيات التي تثبت أنه رسول
سورة الإسراء،

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الآية (٥٩)، وحتى في هذه الحالة. عدم إجابته. سبحانه. إليها إذ طلبها الكفار، رحمة منه وإحسان لهم فإنه جرت سنته لا تبديل لها أنهم إذا طلبوا الآية واقترحوا وأجيبوا ولم يؤمنوا عولجوا بعذاب الاستئصال، فلما علم. سبحانه ت أن هؤلاء لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية لم يجبهم إلى ما طلبوا فلم يعمهم بعذاب لما أخرج من بينهم وأصلابهم من عباده المؤمنين وإن أكثرهم آمن بعد ذلك بغير الآيات التي اقترحوها فكان عدم إنزال الآيات المطلوبة من تمام حكمة الرب ورحمته وإحسانه بخلاف الحجج فإنها لم تزل متتابعة يتلو بعضها بعضاً [1].

٣٤. أن. تعالى. قد أعد الجنة لمن آمن ب ورسله، وأعد النار لمن عصى أمر رسله وكذبهم، قال ـ جل شأنه .

سورة الطلاق، الآيات (٨ . ١٠) .نلاحظ أنه . تعالى . قرن الإيمان بالرسل بالإيمان به، فلا يكون إيمان به إلا إذا حصل الإيمان بالرسل، ولا تمنح الجنة إلا لمن آمن ب ورسله، ولا يخلد في النار إلا من كفر ب ورسله .

٣٥.كما جاءت جملة من الأحاديث النبوية تقطع بأن . جل شأنه . لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسول إليه وإقامة الحجة عليه ونفي عذره:

---

(1) مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، ج ١ ص ١٩٩، ٢٠٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أ .فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول | : ﴿ يجيء نوح وأمته، فيقول .تعالى : هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد | وأمته، فنشهد أنه قد بلغ،وهو قوله .جل ذكره : ﴿ ❐◆❐ ❷■◆ ❐◆❐ ↑ ﴾ سورة البقرة، الآية (١٤٣) .وفي رواية: يقولون: ما جاءنا من نذير ﴾[1] .

يتبين لنا من النظر في هذا الحديث أنه .تعالى .لم يرد قولهم: ما جاءنا من نبي بقوله .مثلاً .كان يكفيكم الإيمان بي عن طريق استعمال عقولكم .

ب .وعن عبد بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول | : ﴿ إنَّ يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر، ثمَّ يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فقال: لا يارب، فيقول: إنَّ لك عندنا حسنة، فإنه لا ظ لم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم شيء ﴾[2] .في هذا الحديث يعرض .تعالى .على عبده أن يذكر عذراً صادقاً لينجيه من عذاب الآخرة، فلئن كان هذا كائناً في حق من جاءه الرسول، ففي حق من لم يأته الرسول أولى .

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) رقم ٣٣٣٩ ج ٦ ص ٤٢٧ فتح، وأخرجه أيضاً: في كتاب: التفسير من صحيحه، باب: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) رقم ٤٤٨٧ ج ٨ ص ٢١ فتح، وأخرجه كذلك في كتاب: الاعتصام، من صحيحه، باب: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) رقم ٧٣٤٩ ج ١٣ ص ٣٢٨ فتح .

(٢) **أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ر قم ٢٦٣٩، وقال: حديث حسن غريب. وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله، ج ٢ ص ١٤٣٧ ر قم ٤٣٠٠، وأخرجه أحمد في مسنده، ج ٢ ص ٢١٣، وأخرجه الحاكم في مستدركه، ج ١ ص ٦، وقال: حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وأخرجه مرة أخرى ١/ ٥٢٩، وصححه ورمز إليه السيوطي بالصحة في الجامع الصغير، ج ١ ،**

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

جـ .وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال:قال رسول | :﴿ لا أحد أغير من من أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن،ولا أحد أحب إليه المدح من ﷻ من أجل ذلك مدح نفسه،ولا أحد أحب إليه العذر من من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ [1] وفي رواية:﴿ من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه ﴾ [2] .

يؤكد هذا الحديث على أن .تعالى .بعث المرسلين للإعذار والإنذار لخلقه (لئلا يكون للناس على حجة بعد الرسل) .

د.عن ابن عباس ﷺ عن رسول | فيما يرويه عن ربه:﴿ إن ربكم تبارك وتعالى رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً إلى سبع مائة إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها ، ولا يهلك على إلا هالك ﴾ [3] .

ومعناه: أنه لا يكون أحد هالكاً عنده .تعالى .مستوجباً للعذاب محروماً من الرحمة مع سعتها إلا من كان هالكاً في المعاصي بالانهماك فيها وعدم الارتداع عنها مع الإصرار عليها والعلم ب مقتضياتها غير جاهلين لجزائها .

وهذا لم يقع مثله من أهل الفترات فلا يكونوا هالكين عنده .تعالى..

وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في تقريب ابن حبان، كتاب: الإيمان، باب: فرض الإيمان ١/ ٤٦١، ٤٦٢ رقم ٢٢٥، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ص ٣٨٣ .

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الحدود، باب: من رأى مع امرأته رجلاً فقتله رقم ٦٨٤٦ ج ٤ ص ٣٠٥، وكتاب: التوحيد، باب: قول النبي | : لا شخص أغير من الله ر قم ٧٤١٦ ج ١٣ ص ٤١١ فتح، واللفظ لهذا الموضع .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: اللعان ج ١٠ ص ١٣٢، وكتاب: التوبة، باب: غيرة الله . تعالى . وتحريم الفواحش ج ١٧ ص ٧٨ ر قم ١٤٩٨، وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: الدعوات رقم ٣٥٣٠ .

(٣) أخرجه بلفظه أحمد في مسنده، ج ٤ ص ٣١٥، ٣١٦ رقم ٢٥١٩، والدارمي رقم ٢٧٨٦، وأبو عوانة في مسنده ١/ ٨٤ . ٨٥، وابن منده في كتاب: الإيمان (٣٨١) من طريق عفان بن مسلم ومن طريق آخر بلفظ قريب، أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، ١٣١، ٢٠٨، والطبراني في معجمه الكبير (١٢٧٦٠)، وابن منده (٣٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم ٣٣٤، ٣٥، وقال محققو مسند أحمد (ط الرسالة) عن الطريق الأول: إسناده صحيح على شرط مسلم .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هـ .عن أبي البختري الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول | أنه قال: ﴿ لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم ﴾ [1] أي تزول علتهم ويزاح عذرهم وتقام عليهم الحجة .

قال السندي: قوله: حتى يُعذروا هو بناء على الفاعل من أعذر من نفسه إذا أمكن منها أي لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم فيستوجبون العقوبة، ويكون لمعذبهم عذر، كأنهم قاموا بعذرهم فيه،ويروي بفتح الياء من عذرته:بمعناه،وقيل معناه أعذروا من يعاقبهم بكثر ذنوبهم [2] .

٣٦.ومما يقوي حجج القول بنجاتهم:

أ .أن العفو إليه .سبحانه .أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والرضا أحب إليه من الغضب .

ب .أن الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنار من موجب غضبه وسخطه، ورحمته .تعالى . تغلب بغضبه وتسبقه .

ج .أن أفعاله .سبحانه .لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلاً، بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص .

د .أنه محال على أحكم الحاكمين واعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة، والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك .

هـ .وكمال الرب .تعالى .وجلاله وحكمته وعدله ورحمته وإحسانه وحقائق أسمائه الحسنى تمنع تعذيب من لا ذنب له، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد ببطلانه .

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي رقم ٤٣٤٧ ج ٣ ص ٨٢٠، وأحمد في مسنده، ج ٣٠ ص ٢٢٢ رقم ١٨٢٨٩، وأخرجه أيضاً ج ٣٧ ص ١٨٢ رقم ٢٢٥٠٦ (ط دار الرسالة) واللفظ له، وأخرجه أبو القاسم البغوي في الجعديات (١٣٢)، ومن طريقه أبو محمد البغوي في شرح السنة (٤١٥٧) من طرق عن شعبة .. عن رجل من أصحاب النبي | ، وقال محققوا مسند أحمد (ط دار الرسالة): إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابية وإبهامه لا يضر .

(٢) ينظر: تحقيق مسند أحمد (ط الرسالة) ج ٣٠ ص ٢٢٢، قلت: ونص رواية أبي داود فيه الروايتان إذ فيه (لن يهلك الناس حتى يعذروا أو يعذروا من أنفسهم) قلت: والشك من الراوي .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

و .لا أحد أحب إليه العذر من .تعالى ،. وشريعة الإسلام تلتمس العذر لمن دان بها، ولا تؤاخذه حال الخطأ والنسيان والإكراه وزوال العقل،ولو كان هذا في أصول الدين، وهذا في أثناء ظهور دعوة الأنبياء.عليهم السلام.فقبول الأعذار في أثناء فقدها أولى .

ز .وحكمته .تعالى .وعدله يأبى أن يسوي بين المختلفين قال .سبحانه .

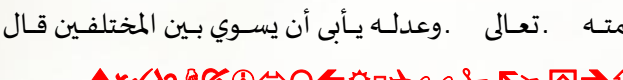

سورة القلم،الآيتان (٣٥، ٣٦) فأخبر .

سبحانه .أن هذا حكم باطل جائر يستحيل نسبته إليه كما يستحيل نسبة الفقر والحاجة والظلم إليه، وقال .تعالى :

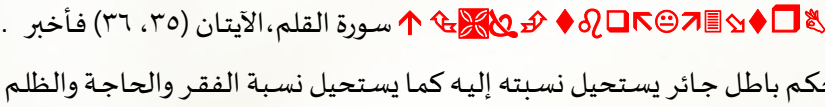

سورة ص، الآية (٢٨)،وقال:

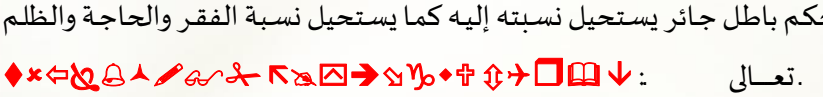

سورة الجاثية، الآية (٢١)، فجعل .سبحانه .ذلك حكماً سيئاً يتعالى ويتقدس عن أن يجوز عليه فضلاً عن أن ينسب إليه .

فمساواة أهل الفترة بمكذبي المرسلين قريب من هذا، إذ كيف يستوي من لم يكفر ويكذب بمن كفر وكذب .

ح.لا يليق بعدل .تعالى.أن يعذب أهل الفترة لأن تعذيب الغير من غير ذنب ظلم، و.تعالى.لا يجوز أن يكون ظالماً .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ط . أن أهل الفترة إن دخلوا النار خُلدوا فيها لأنهم لم يؤمنوا ب ورسله، فيتساوون حينئذ بالكفار المكذبين والمشركين المجرمين، وكيف يستوي من كفر وجحد وكذب وعاند، بمن لم يفعل شيئاً من ذلك .

وقد أقام الحق . سبحانه . المعاملة بينه وبين عبده على العدل وإقامة الحجج في الشئون كلها دنيا وأخرى، مع أنه يعلم أزلاً ما يقع منه من إيمان وكفر وطاعة ومعصية، ففي حديث أنس ﷺ في عذاب القبر قال: قال رسول | : ﴿ ... فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ﴾ [1] .

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول | : ﴿ إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك إليه يوم القيامة ﴾ [2] .

وجعل . تعالى . لكل إنسان . مسكناً في الجنة ومسكناً في النار، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار، ويُجعل الكفار في منازلهم من النار، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول | : ﴿ ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ﴾ [3] .

ويسنده حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول | : ﴿ إذا كان يوم القيامة دفع لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فكاكك من النار ﴾ وفي رواية أخرى ﴿ لا يموت رجل مسلم إلا أدخل مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً ﴾ [4] .

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ج ١ ص ٣٥٣ رقم ١٣٧٤ .

(2) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: الميت يعرض عليه مقعده رقم ١٣٧٩، ج ١ ص ٣٥٤، وانظر: رقم ٦٥١٥ .

(3) أخرجه ابن ماجة، كتاب: الزهد، باب: صفة الجنة رقم ٤٣٤١، قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، وقال القرطبي في التذكرة ص ٤١٩: إسناده صحيح .

(4) أخرجه مسلم، كتاب: التوبة ، باب: قبول توبة القاتل، رقم ٢٧٦٧، ج ٩ ص ٨٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أدلة أصحاب الرأي الثالث:

اعتمد الذين رأوا أن أهل الفترة يمتحنون في الدار الآخرة بالأحاديث النبوية الواردة في أنهم سيحتجون يوم القيامة فيختبرون، ومن الأحاديث الواردة في امتحانهم:

١ . ما رواه الأسود بن سريع ﷺ أن نبي | قال: ﴿ أربعة يوم القيامة [١]: رجل أصم لا يسمع شيئاً،ورجل أحمق،ورجل هَرِم،ورجل مات في فترة،فأما الأصم، فيقول:ربِّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً،وأما الأحمق فيقول:رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر،وأما الهرم فيقول:رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً،وأما الذي مات في الفترة فيقول:رب ما أتاني لك رسول،فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه،فيرسل إليهم أن ادخلوا النار،قال:فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها، لكانت عليهم برداً وسلاماً ﴾ [٢].

٢ .وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول | قال: ﴿ أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هَرِم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم، فيقول: رب لقد جاء الإسلام ومما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم

---

(١) يعني: يدلون على الله بحجة .

(٢) أخرجه أحمد في المسند رقم ١٦٣٠١، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ٢٥٥ من طريق عبيد الله بن عمر، عنه، عن أبيه هشام، عن قتادة، عن الأسود بن سريع، به مرفوعاً، وأخرجه البزار رقم ٢١٧٤ (زوائد) من طريق محمد بن المثنى، عنه، عن أبيه هشام، عن قتادة عن الحسن، عن الأسود بن سريع به، وأخرجه الضياء المقدسي في المختارة رقم ١٤٥٤ من طريق الإمام أحمد بهذا الإسناد، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد، ص ١١١ من طريق على بن المديني، به، وصححه وأخرجه إسحاق بن راهوية في مسنده، ط دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط أولى سنة ١٤٠١هـ . ١٩٨١م، ومن طريقه أخرجه ابن حبان رقم (٧٣٥٧) والطبراني في الكبير رقم (٨٤١)===، === وأبو نعيم في معرفة الصحابة رقم (٩٠٠) والضياء في المختارة رقم (١٤٥٦) عن معاذ بن هشام، به، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢١٥ . ٢١٦ وقال: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح، وقال محققوا المسند، ط الرسالة: حديث حسن ٢٦/ ٢٢٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ليطيعنه، فيرسل إليهم، أن ادخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يُسحب إليها ﴾[1].

٣ .وعن أنس ﷺ قال: قال رسول | :﴿ يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني الهرم كلهم يتكلم بحجته، فيقول الرب تبارك وتعالى: لعنق من النار ابرز ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه، قال فيقول: من كتب عليه الشقاء: يارب أني ندخلها ومنها كنا نفر؟ قال: ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً، قال فيقول .تعالى .أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار ﴾[2].

٤ .وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:قال رسول | :﴿ الهالك في الفترة والمعتوه والمولود،يقول الهالك في الفترة:لم يأتني كتاب، ويقول المعتوه: رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: رب لم أدرك العقل، فترفع لهم نار، فيقال لهم: أوردوها، قال: فيردها من كان في علم سعيداً أو

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم ١٦٣٠١ قال: حدثنا علي، حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي رافع عن أبي هريرة، وأخرجه الضياء المقدسي في المختار رقم (١٤٥٥) من طريق الإمام أحمد بهذا الإسناد، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد، ص ١١١ من طريق علي بن المديني به، وأخرجه إسحاق بن راهوية في مسنده (٤٢)، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبان ٢/ ٢٥٥ من طريق عبيد الله بن عمر، كلاهما عن معاذ بن هشام، به، وأخرجه إسحاق بن راهوية (٥١٤)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٤٠٤) من طريق على بن زيد بن جدعان، عن أبي رافع، به، وأخرجه بنحوه موقوفاً على أبي هريرة ابن جرير الطبري في تفسيره، ج ١٥ ص ٥٤ من طريقين عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة، قالت: وله حكم الرفع، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح ٣/ ٢٩١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢١٦: رجال أحمد في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال الصحيح، وكذا رجال البزار فيهما، وقال محققو مسند أحمد، ط الرسالة ٢٦/ ٢٣٠: إسناد حسن .

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم (٤٢٢٤) (٣/ ١٠٤٤ ـ ١٠٤٥) والبزار، ص ٢٣٢، ٢٣٣قال: حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن أنس، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٦/ ٣٨٨، ٣٨٩ بلفظ مقارب، وليث بن أبي سُليم صدوق، اختلط كثيراً، ولم يتميز حديثه فترك، كما قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب، ج ٢ ص ١٢٨، ط٢ سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، وذكره الذهبي في الميزان ٤/ ٤٢٠ رقم ٦٩٩٧ وقال: قال أحمد: مضطرب الحديث ولكن حدث عنه الناس، وقال يحيى والنسائي: ضعيف، وقال ابن معين أيضاً: لا بأس بهن وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره ... وهكذا أخرجه البزار رقم (٢١٧٧) عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بإسناد مثله، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢١٦) وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أدرك العمل ويُمسك عنها من كان في علم شقياً لو أدرك العمل، فيقول: إياي عصيتم، فكيف لو رسلي أتتكم ﴾[1].

٥ .وعن ثوبان ﷺ أن النبي | قال: ﴿ إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم، فيقولون: ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولاً لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم: أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيقولون: نعم، فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون: ربنا أخرجنا أو أجرنا منها، فيقول لهم: ألم تزعموا أني إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيأخذ على ذلك مواثيقهم، فيقول: اعمدوا إليها فادخلوها، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا منها ورجعوا فقالوا: ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول: ادخلوها داخرين، فقال نبي | : لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً ﴾[2].

٦ .وعن معاذ بن جبل ﷺ عن نبي | قال: ﴿ يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً، فيقول الممسوخ: يارب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد مني،وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك، فيقول الرب ﷻ: إني آمركم فتطيعوني؟ فيقولون: نعم فيقول: اذهبوا فادخلوا النار، قال: ولو دخلوها ما ضرتهم فتخرج عليهم قوابص فيظنون أنها قد أهلكت ما

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه البزار رقم (٢١٧٦)، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٣٨٨، عن محمد ابن عمر بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد ﷺ، وأخرجه البغوي في الجعديات رقم (٢١٢٦)، قال ابن القيم في طريق الهجرتين، ص ٣٧٩: تابعه الحسن بن موسى عن فضيل، ورواه أبو نعيم عن فضيل بن مرزوق فوقفه، فهذا وإن كان فيه عطية فهو ممن يعتبر بحديثه ويستشهد به، وإن لم يكن حجة . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢١٦ وقال: رواه البزار، وفيه عطية وهو ضعيف . وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان، ج ١٦ ص ٣٥٨ (رقم ٧٣٥٧): رواه البزار وفيه عطية وهو ضعيف، وحديثه حسن في الشواهد وهذا منها .

(٢) أخرجه الحاكم، ج ٤ ص ٤٥٠ وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، وأخرجه البزار في مسنده رقم (٢١٧٦) (زوائد) قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا ريحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن ألب قلابة عن أبي أسماء . عن ثوبان ﷺ وساقه .. ثمَّ قال: ومتن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه لم يروه عن أيوب إلا عباد ولا عن عباد إلا ريحان بن سعيد،قال ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٢٩:وقد ذكره . أي ريحان . ابن حبان في ثقاته، وقال يحيى بن معين والنسائي: لا بأس بهن ولم يروه عنه أبو داود، وقال أبو حاتم شيخ لا بأس يكتب حديثه ولا يحتج به .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

خلق من شيء فيرجعون سراعاً، ثمَّ يأمرهم الثانية، فيرجعون كذلك فيقول الرب ﷻ: قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي خلقتكم وإلى علمي تصيرون، ضمهم فتأخذهم النار ﴾[1] .

٧ .وعن أبي هريرة ﷺ قال: ﴿ إذا كان يوم القيامة جمع أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام، ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار فيقولون: كيف ولم تأتنا رسل؟ قال: وايم لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، ثمَّ يرسل إليهم، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل، قال أبو هريرة:أقرءوا إن شئتم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ﴾[2] وفي رواية ﴿ ... والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرَفوا .. ﴾ وللخبر حكم الرفع .

٨ .عن أبي صالح ﷺ قال: ﴿ يحاسب يوم القيامة الذين أرسل إليهم الرسل، فيدخل الجنة من أطاعه ويُدخل النار من عصاه ويبقى قوم من الولدان والذين هلكوا في الفترة فيقول: وإني آمركم أن تدخلوا هذه النار، فيخرج لهم عنق منها، فمن دخلها كانت نجاته، ومن نكص فلم يدخلها كانت هلكته ﴾[3] .

مناقشة أصحاب الرأي الأول لهذه الأحاديث :

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠/ ٨٣، وأخرجه في الأوسط، ج ١٧ ص ٢٦٢،وأبو نعيم (٢/ ٣١٩)، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٣٨٩ عن هشام بن عمار ومحمد بن المبارك الصوري حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن جليس عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ، وفيه عمرو بن واقد الدمشقي وهو متروك، قال الذهبي في الميزان ٣/ ٢٩١، ٢٩٢ رقم ٦٤٦٥ قال أبو مسهر: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: يكتب حديثه مع وضعفه، وقال الدارقطني: متروك .. وكذبه مروان بن محمد .. ينظر: ميزان الاعتدال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ن: دار المعرفة، بيروت د ت . وذكر الحديث ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٠ وسكت عليه، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٧٧): رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمرو بن واقد وهو متروك .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (تفسير الإسراء، أية: ١٥) ج ١٥ ص ٥٤ ولفظه (.. والشيوخ) من طريق معمر، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٣٩٠، قال السيوطي في مسلك الحنفا (ضمن الحاوي للفتاوى) ص ٢٠٥: إسناده صحيح على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٤ ص ١٦٩، ن: دار المعرفة، بيروت د ت، وقال: أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي صالح .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقد اختلف جمهور علماء أهل السنة في الأحاديث الواردة في امتحان من لم تبلغهم الدعوة على رأيين:الرأي الأول: ذهب إلى أنها أحاديث آحاد لا يحتج بها .

الرأي الثاني: ذهب إلى رد هذه الأحاديث وإنكارها لضعفها ومعارضة ما هو أقوى منها لها،يقول ابن عبد البر:(جملة القول في أحاديث هذا الباب كلها...أنها من أحاديث الشيوخ،وفيها علل،وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء،وهو أصل عظيم، والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعف في العلم والنظر مع أنه عارضها ما هو أقوى منها..) [1] .

وقال:أهل العلم ينكرون أحاديث هذا الباب: لأن الآخرة ليست دار عمل ولا ابتلاء، وكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين، و لا يكلف نفساً إلا وسعها؟

الجواب: أجاب من رأوا القول بموجب هذه الأحاديث على من لم يقل بلازمها بأجوبة أحدها: أن أهل العلم لم يتفقوا على إنكار هذه الأحاديث ولا أكثرهم، وإن أنكرها بعضهم فقد صحَّح بعضها كثير من المحدثين كابن حبان والضياء المقدسي والبيهقي والذهبي وابن كثير والعسقلاني والهيثمي والسيوطي وجماعة من غير المحدثين كابن القيم .

الثاني: أن إسناد حديث الأسود أجود من كثير من الأحاديث التي يحتج بها في الأحكام، ولهذا رواه الأئمة أحمد وإسحاق وعلي بن المديني .

الثالث: أنه قد نص جماعة من الأئمة على وقوع الامتحان في الدار الآخرة، وقالوا: لا ينقطع التكليف إلا بدخول دار القرار. ذكره البيهقي عن غير واحد من السلف .

الرابع: ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد بن مسعود في الرجل الذي هو آخر أهل الجنة دخولاً إليها، أن .سبحانه وتعالى .يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأله غير الذي يعطيه، وأنه يخالفه ويسأله غيره مرات ،فعن أبي هريرة ﷺ أنا ناساً قالوا لرسول | : يا رسول : هل نرى ربنا يوم القيامة .. وساق الحديث بطوله إلى قوله | : ﴿ ... ثمَّ يفرغ .تعالى .من القضاء بين العباد ويبقى رجل

---

(1) التمهيد، لابن عبد البر، ج ٦ ص ٣٩٠، كتاب: الجنائز، باب: جامع الجنائز .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مُقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني [١] ريحها وأحرقني ذكاؤها [٢]، فيدعوا ما شاء أن يدعوه، ثمَّ يقول تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره، فيقول: لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها يسكت ما شاء أن يسكت، ثمَّ يقول: أي رب قدني إلى باب الجنة، فيقول أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب ويدعو حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره فيقول: لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة انفهقت [٣] له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء أن يسكت،ثمَّ يقول:أي رب أدخلني الجنة،فيقول . تبارك وتعالى .له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب، لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك .تبارك وتعالى .منه فإذا ضحك منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها، قال .تعالى .له: تمنَّه، فيسأل ربه ويتمنى حتى أن ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال .تعالى ، لك ذلك ومثله معه ﷺ [٤] .

الخامس: أن هذا استبعاد لا ترد الأحاديث بمثله .

السادس: أن في أصح هذه الأحاديث .وهو حديث الأسود .أنهم يعطون ربهم المواثيق ليطيعنه فيما يأمرهم به، فيأمرهم أن يدخلوا نار الامتحان، فيتركون الدخول معصية لأمره لا لعجزهم عنه، فكيف يقال: إنه ليس في الوسع .

السابع: قوله: وليس ذلك في وسع المخلوقين جوابه من وجوه:

---

(١) قشبني: بفتح القاف، أي آذاني وأهلكني .

(٢) ذكاؤها: أي لهيبها واشتعالها وشدة وهجها .

(٣) انفهقت: معناه انفتحت واتسعت .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم، ج ٤ ص ٢٣٨، ٢٣٩ رقم ٦٥٧٣، وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، ج ٣ ص ١٧ . ٢٤، واللفظ له، ورواية أبي سعيد الخدري ﷺ أخرجها البخاري ، كتاب: الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم، ج ٤ ص ٢٣٩ رقم ٦٥٧٤، وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، ج ٣ ص ٢٥، ورواية عبد الله بن مسعود ﷺ أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجاً، ج ٣ ص ٤١ . ٤٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أحدها: أن ذلك ليس تكليفاً بما ليس في الوسع، وإنما هو تكليف بما فيه مشقة شديدة، وهو كتكليف بني إسرائيل قتل أولادهم وأزواجهم وآبائهم حين عبدوا العجل [1]، وكتكليف المؤمنين إذا رأوا الدجال ومعه مثال الجنة والنار أن يقعوا في الذي يرونه ناراً [2] .. وهذا أيضاً شاق على النفوس ولا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور .

وقد يقال: إنَّ المشقة هنا ليست شديدة لأن هذا الأمر سيطلب منه عندما يكون الأمر لله . تعالى .وحده دون دعوى منازعة من غيرهن ودون ظهور لفتن الدنيا وغرورها، ودون وجود مضلات تمنع رؤية الحق، وذلك كإبليس وشياطين الجن والإنس والنفس الأمارة بالسوء والهوى والبيئة الفاسدة والصحبة السيئة، فتكون النفس مهيئة لقبول هدي .تعالى .وأمره دون تردد أو تأخر أو شك .

ولو كان في ظاهر الأمر ما يشق عليها، حتى كأنها تقول: لو قطعتني إرباً إرباً ما ازددت لك إلا حباً .

وإننا لنجد النوازل الشداد تنزل بأرباب الشكر والصبر فلا يزدادون إلا رضاً وشكراً .

ثانيها: أنهم لو أطاعوه ودخلوها لم يضرهم، وكانت برداً وسلاماً، فلم يكلفوا بممتنع ولا بما لم يستطع .

ثالثها: أنه قد ثبت أنه .سبحانه وتعالى .يأمرهم في القيامة بالسجود ويحول بين المنافقين وبينه،وهذا تكليف بما ليس في الوسع قطعاً، فكيف ينكر التكليف بدخول في رأي العين إذا كانت سبباً للنجاة؟ كما جعل قطع الصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف سبباً كما قال أبو سعيد الخدري ﷺ: ﴿ بلغني أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ﴾ [3]، فركوب هذا الصراط الذي هو في غاية المشقة كالنار، ولهذا كلاهما يفضى منه النجاة ،وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا، بل أطم وأعظم .

فإن قيل: الآخرة ليست دار عمل ولا ابتلاء، فكيف يمتحنون في غير دار التكليف؟

---

(1) حتى يقال: إنهم قتلوا في غداة واحدة سبعين ألفاً، تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ١٣، تفسير الإسراء: ١٥ .

(2) أخرجه مسلم،كتاب:الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ج ٩ ص ٢٥٤ رقم ٢٩٣٤، ٢٩٣٥ .

(3) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة، ج ٣ ص ٣٤ نووي .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يجاب عنه: بأن التكليف إنما ينقطع بعد دخول دار القرار، وأما في البرزخ وعرصات القيامة فلا ينقطع، وهذا معلوم بالضرورة من الدين من وقوع التكليف بمسألة الملكين في البرزخ وهي تكليف، وأما في عرصة القيامة فقال تعالى: ﴿ ﴾ سورة القلم، الآية (٤٢) فهذا صريح في أن .تعالى. يدعو الخلائق إلى السجود يوم القيامة، وأن الكفار يحال بينهم وبين السجود إذا ذاك، ويكون هذا التكليف بما لا يطاق حينئذ حساً عقوبة لهم؛ لأنهم كلفوا به في الدنيا وهم يطيقونه فلما امتنعوا منه وهو مقدور لهم كلفوا به وهم لا يقدرون عليه حسرة عليهم وعقوبة لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ﴾ سورة القلم، الآية (٤٣) دعوا إليه في وقت حيل بينهم وبينه كما في الصحيح من حديث أي سعيد ﷺ قال: إنَّ ناساً قالوا: يا رسول ، هل نرى ربنا يوم القيامة . فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: ﴿ قالوا .أي المؤمنين : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ ب منك لا نشرك ب شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إنبعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه علامة فتعرفونه بها، فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثمَّ يرفعون رءوسهم .. ﴾[1] وذكر الحديث .وهذا التكليف نظير تكليف البرزخ بالمسألة، فمن أجاب في الدنيا طوعاً واختياراً أجاب في البرزخ، ومن امتنع عن الإجابة في الدنيا مُنع منها في البرزخ، ولم يكن تكليفه في الحال وهو غير قادر قبيحاً، بل هو مقتضى الحكمة الإلهية، لأنه مكلف وقت القدرة وأبى، فإذا كلف وقت العجز وقد حيل بينه وبين الفعل كان عقوبة له وحسرة .

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: رؤية الله . سبحانه وتعالى . في الآخرة، ج ٣ ص ٢٥ . ٣٤، نووي .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والمقصود أنَّ التكليف لا ينقطع إلا بعد دخول الجنة أو النار، وقد تقدم أن حديث الأسود ابن سريع صحيح، وفيه التكليف في عرصة القيامة، فهو مطابق للنصوص الصحيحة الصريحة، فعلم أن الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة وتأتلف به النصوص ومقتضى الحكمة هذا القول [١] .

تعقيب (الترجيح):

ـ تعالى . لا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه، ولا يترك الحسن ولا يفعل القبيح، و من مقتضى حكمته أن لا يكلف العباد فوق طاقتهم وما لا يقدرون عليه .

قال الإمام النووي: (استدل بعض العلماء بهذا مع قوله تعالى : ↓ •⊠♦▫⊗⑩❑→➚❹○↬☙✂ ❼■🖫⊗❶ ♦ℓ⇗❑♦↖⇳⑨↖③◆❒ ③♦○⇔☝♦➲❑↖➔⓿⊗ ↑ ⊗⊗✖☙ ♦ℓ❑↖➔⓿⊗➲♦☝⇔○♦③ سورة القلم، الآية (٤٢) على جواز تكليف ما لا يطاق، وهذا استدلال باطل،فإنَّ الآخرة ليست دار تكليف بالسجود، وإنما المراد امتحانهم) [٢].قلت: يعضد القول بعدم تكليفهم وامتحانهم أن النبي | رأى عمرو بن لحي وغيره يعذبون في القبور قبل امتحانهم يوم القيامة، إذ لو عذبهم قبل امتحانهم لكان لهم حجة .

وجائز أن يخص الحق .تعالى .الامتحان بأئمة الضلال ممن شرع لقومه عبادة الأصنام، قال الحافظ عبد الحق الأشبيلي: (في حديث الأسود. قد جاء هذا الحديث وهو صحيح فيما أعلم، والآخرة ليست دار تكليف ولا عمل، ولكن يخص من يشاء ما يشاء، ويكلف من شاء ما شاء وحيثما شاء لا يُسأل عما يسألون) [٣] .

فالجمع بين هذا القول ورأي الجمهور: أن المقصود بهذه الأحاديث أنهم يمتحنون في الآخرة ولا يعذبون بل ينجون، أو يقصر هذا التعذيب على من ورد فيهم التعذيب كعمرو بن لحي . فهؤلاء وأشياعهم يحتجون فيبتلون لئلا يكون لهم حجة ثم يدخلون النار .

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم، ص ٣٨٠، ٣٨١ بتصرف .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ج ٣ ص ٢٨ .

(٣) طريق الهجرتين، لابن القيم، ص ٣٧٧ . *أخرج حديثه مسلم كتاب الكسوف رقم ٩٠٥ ج٤ ص٤٥٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

وعلى هذا تحمل الأحاديث النبوية الواردة في تعذيب جماعة من أهل الفترة كحديث تعذيب عمرو بن لحي الخزاعي وصاحب المحجن*.وكذا تعذيب الشباب الذين آذوا المرأة الحبشية، فعن جابر بن عبد ﷺ قال: لما رجعت إلى رسول | مهاجرة البحر، قال : ألا تحدثوني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة، فقال فتية منهم: بلى يا رسول ، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل على رأسها قُلَّة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كفيه، ثمَّ دفعها، فخرَّت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت، التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم يا غُدر إذا وضع الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً، قال رسول | :﴿ صدقت صدقت كيف يقدس أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم ﴾[1] .

وأجاب عن ذلك عقيل بن أبي طالب بثلاثة أجوبة :الأول: أنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع .الثاني: قصر التعذيب على هؤلاء، و أعلم بالسبب .

الثالث: قصر التعذيب المذكور في هذه الأحاديث على من بدَّل وغيَّر الشرائع وشرع من الضلال ما لا يعذر به[2] .

فصار سبباً عظيماً لإفساد غيره، وصاداً للفطرة السليمة أن تبقى على نقائها .

أما غير هؤلاء .وهم أكثر أهل الفترة .فلا يمتحنون ولا يؤاخذون .

ثم يكون المعذبون منهم على قسمين:

القسم الأول: المشرعون للكفر الداعون إليه . وهؤلاء يخلدون في النار .

والقسم الثاني: مرتكبو كبائر الإثم الظاهرة التي فيها ظلم للعباد كصاحب المحجن السارق وظالم المرأة الحبشية .... وغيرها من الذنوب التي تعلم فطرة وعقلاً .

---

(1) أخرجه ابن ماجة، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف رقم ٤٠١٠، ج ٢ ص ١٣٢٩، قال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن .

(2) الحاوي، ج ٢ ص ٢٠٩، وينظر: شرح البيجوري على الجوهر، ص ٣٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فهؤلاء يعذبون في أرض المحشر كالحيوانات التي يقتص منها على أرض الحساب [1] أو يدخلون النار ليعذبون فيها على قدر سيئاتهم ثمَّ يدخلون الجنة .

وبذلك يكون أهل الفترة على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: ناجون فائزون بالجنة دون سابقة عذاب وهؤلاء هم أكثر أهل الفترات .

الضرب الثاني: مخلدون في النار لا يخرجون منها .

الضرب الثالث: معذبون مقتص منهم في أرض الحساب أو في نار جهنم على قدر ظلم كل واحد منهم وإسرافه في الاعتداء على الخلق .

(١) قال رسول الله | : ﴿ لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ﴾ أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم ٢٥٨٢ ج ٣ ص ٣٤٩ .

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

الخاتمة (أهم النتائج)

وأخيراً يمكن استنتاج ما يلي:

١ .أهل الفترة هم من كانوا بين أزمنة الرسل أو في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم، لا يخص بذلك زمان دون زمان ولا مكان دون مكان .

٢ .يدخل في أرباب الفترة ومن لم تبلغه الدعوة في زماننا الحاضر كل مريد للهدى محب له مؤثر له على غيره، غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يرشده، فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزاً وجهلاً .

٣ .فساد قول جماعة التكفير بإنكار وجود أهل الفترة .

٤ .ترجيح قول جمهور المفسرين في الميثاق الأول بحمل المعنى في آية الأعراف على الظاهر، فيكون المعنى أنه .تعالى .أخرج الذرية من ظهور بني آدم على هيئة الأشباح في صور النسم وأشهدها على أنفسها أنه لا إله غيره فشهدت وأقرت .

٥ .ينقسم أهل الفترة إلى فريق أدرك التوحيد ببصيرته، وفريق غيَّر وبدَّل وأشرك واخترع ديناً، وفريق كان على حال غفلة لم يشرك ولم يوحد ولم يؤمن بشريعة نبي ولا ابتكر شرعاً، وهذا شأن أكثر أهل الفترة .

٦ .قوة رأي من ذهبوا إلى أن الحسن والقبح بالشرع لا بالعقل، وأن الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة خلاف صورى.

٧ .لا يؤاخذ أهل الفترة بحكم في دار الدنيا ولا يلزمهم تكليف على الأرجح .

٨ .نجاة أهل الفترة ومن في حكمهم من فتنة القبر، وما ورد في تعذيب بعضهم محمول على مُشَرِّعي الكفر .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

٩ .نجاة أهل الفترة في الآخرة وتخصيص الأحاديث الواردة بامتحانهم بمن ورد التعذيب في حقه كعمرو بن لحي لإقامة الحجة عليه ثم يهلك والقصاص ممن ارتكب كبائر يعلم حرمتها ثم ينجو.

هذا جهد المقصر فإن وفقت فالحمد لله وإن كانت الثانية فحسبي أنني اجتهدت

مصطفى مراد صبحى ٢٠ |٤| ٢٠٠٨م

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

فهرس المصادر

(١) الإشارة إلى مذهب أهل الحق، لأبي إسحاق الشيرازي، ت ٤٧٦هـ، تحقيق: د/ محمد السيد الجليند، ط وزارة الأوقاف، مصر، سنة ١٤٢٠هـ.١٩٩م .

(٢) أصل الشيعة وأصولها، لمحمد حسين كاشف الغطاء، ن: دار مواقف عربية، لندن، ط أولى سنة ١٤١٤هـ.١٩٩٤م .

(٣) الأعمال الكاملة، للإمام/ محمد عبده، تحقيق: د/ محمد عمارة، ن: دار الشروق، القاهرة، ط أولى سنة ١٤١٤هـ.١٩٩٣م .

(٤) الاعتقاد الهادي إلى سبل الرشاد، للبيهقي، ط دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط أولى سنة ١٤٠١هـ.١٩٨١م .

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد، لحجة الإسلام: الغزالي، ط صبيح، القاهرة، د ت .

(٦) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ليحيي بن أبي الخير العمراني، ت ٥٥٨هـ، ت : د/ سعود الخلف، ن: أضواء السلف، الرياض، ط أولى سنة ١٤١٩هـ.١٩٩٩م .

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، ن: دار الكتب العلمية.

(٨) تأويلات أهل السنة، المعروف بتفسير الماتريدي، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، ن: مؤسسة الرسالة، ط سنة ١٣٩٥هـ.١٩٧٥م .

(٩) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، للإسفرايني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، ط مكتبة الكليات الأزهرية، ط أولى سنة ١٩٩٥م .

(١٠) تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت د ت .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

(١١) تفسير أبي حيان المسمى: البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف المشتهر بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، ت ٧٥٤هـ، ن: دار الفكر، سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(١٢) تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط مكتبة دار التراث، القاهرة د ت .

(١٣) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين عبد بن عمر الشيرازي البيضاوي، ت ٧٩١هـ،ن:دار التوفيقية، القاهرة د ت .

(١٤) تفسير الرازي، المسمي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي محمد ابن عمر، فخر الدين الرازي،ت ٦٠٥هـ،ط دار الغد العربي،القاهرة، ط أولى سنة ١٤١٢هـ.١٩٩٠٢م .

(١٥) تفسير الزمخشري المسمى: الكشاف عن حقائق التنزيل، لأبي القاسم جار محمود بن عمر الزمخشري، ط الحلبي، القاهرة سنة ١٣٩٣هـ .

(١٦) تفسير الطبري المسمى: جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى سنة ١٤١٢هـ .

(١٧) تفسير القرطبي (الجامع لحكام القرآن)، للقرطبي (أبي عبد محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ) .

(١٨) تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط ٢ سنة ١٣٩٥هـ.١٩٧٥م، دون ذكر اسم الناشر .

(١٩) تفسير المنار، جمع: محمد رشيد رضا .

(٢٠) التمهيد، لابن عبد البر، ط الرسالة .

(٢١) الجامع الصغير، للسيوطى، ط مكتبة نزار، الرياض، ط ٢ سنة ١٤٢٠هـ.٢٠٠٠م .

(٢٢) الخطط، المسمى كتاب:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي (أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة سنة ١٢٧٠هـ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٢٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، ن: دار المعرفة، بيروت د ت .

(٢٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني (أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، ت ٥٠٢هـ) تحقيق: د: أبو اليزيد العجمي، ط دار الصحوة، القاهرة،ط أولى سنة ١٤٠٥هـ.١٩٨٥م .

(٢٥) الروح، المنسوب لابن قيم الجوزية،ن: دار التقوى، شبرا، مصر، ط أولى سنة ١٤١٩هـ.١٩٩٩م .

(٢٦) السيرة النبوية، لابن هشام المصري (عبد الملك بن هشام الحميري)، ط دار الفجر للتراث بالأزهر .

(٢٧) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ت: د/ عبد الكريم عثمان، ط مكتبة وهبة، القاهرة، ط أولى سنة ١٣٨٤هـ.١٩٦٥م .

(٢٨) شرح السنوسية الكبرى، لأبي عبد السنوسي، ط دار القلم، الكويت، ط أولى سنة ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م .

(٢٩) صحيح البخاري، ط دار الفجر بالأزهر، ط سنة ١٤٢٦هـ.٢٠٠٥م .

(٣٠) صحيح مسلم، ط دار أخبار اليوم، القاهرة، سنة ١٤٠٧هـ.١٩٨٧م .

(٣١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، ن: دار الحديث، القاهرة، ط٤ سنة ١٤٢٠هـ.١٩٩٩م .

(٣٢) عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، ط دار الغدير، بيروت، سنة ١٣٩٣هـ .

(٣٣) الفرق بين الفرق،للبغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي) ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط مكتبة التراث، القاهرة د ت .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٣٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ط دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٢م .

(٣٥) كيف نفهم الإسلام، للشيخ/ محمد الغزالي، ط دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، سنة ١٤١١هـ. ١٩٩١م .

(٣٦) لسان العرب، لابن منظور، ط دار الشعب، القاهرة، د ت .

(٣٧) متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار الهمداني، ن: دار التراث، القاهرة د ت .

(٣٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي علي الفضل بن الحسن، ن: مؤسسة الأعلمي، بيروت، سنة ١٤١٥هـ.١٩٩٥م .

(٣٩) المختار من شرح البيجوري على الجوهرة، لإبراهيم البيجوري، ط إدارة المعاهد الأزهرية، سنة ١٣٩٨هـ.١٩٧٨م .

(٤٠) المسامرة بشرح المسايرة، لابن أبي شريف المقدسي الشافعي، ت ٩٠٦هـ، والمسايرة للكمال بن الهمام الحنفي، ت ٨٦٠هـ، ط مطبعة السعادة بمصر د ت .

(٤١) مسند الإمام أحمد، ط دار الرسالة،بيروت .

(٤٢) معالم الدين، لعبد العزيز الثميني المصعبي الإباضي، ن: وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان، سنة ١٤٠٧هـ.١٩٨٧م .

(٤٣) المعجم الوجيز، عمل مجمع اللغة العربية، القاهرة .

(٤٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولايتي العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، ط دار الحديث بالقاهرة .

(٤٥) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد، ت ٥٠٢هـ، ن: دار المعرفة، بيروت .

(٤٦) مقالات الإسلاميين، للإمام الأشعري، ن: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت سنة ١٤١١هـ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٤٧) الملل والنحل للشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني، ط مصطفى الحلبي، القاهرة ١٣٩٦هـ.

(٤٨) منهاج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي حسن، ن: مكتبة الرشد، الرياض، ط ٣ سنة ١٤١٥هـ.١٩٩٥م.

(٤٩) المنية والأمل، للقاضي عبد الجبار الهمداني، ت: د/ عصام الدين علي، ن: دار المعرفة الجامعية، القاهرة د ت.

(٥٠) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، عمل الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ن: دار الندوة العالمية، الرياض، ط ٤ سنة ١٤٢٠هـ.

(٥١) الموطأ،للإمام مالك،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار الحديث، القاهرة د ت.

(٥٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز) ط دار الفكر العربي، القاهرة د ت.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢:٥٦ م

فهرس الموضوعـات

م	العنوان	الرقم
	كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة	٣
	المقدمة	٥
	مفهوم أهل الفترة	٧
	أهل الفترة حكماً	٨
	وجود أهل الفترة	١٤
	أقسام أهل الفترة	٢٦
	مرجع الحكم على أهل الفترة	٢٩
	مناقشة هذه الآراء	٣٠
	ماهية العقل وقدراته	٣٧
	حكم أهل الفترة في الدنيا	٥٦
	حال أهل الفترة في دار البرزخ	٥٩
	حكم أهل الفترة في الدار الآخرة	٦١
	الخاتمة (أهم النتائج)	٩٥

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net